فاعلية العلاقات النحوية
في تداولية النص

د. إيهاب سعود
دكتوراه النحو والصرف والعروض
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
Ea2030@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا البحث المتواضع إلى أستاذي العلامة الشاعر

الأستاذ الدكتور شعبان صلاح

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم

متمنياً له دوام الصحة والعافية..

المحتويات

فاعلية العلاقات النحوية
في تداولية النص

د. إيهاب سعود

الملخص:

في هذا البحث يتم تناول فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص؛ وذلك من خلال محورين أساسيين؛ تم إفراد مبحث مستقل لكلّ منهما. في المبحث الأول تم تناول البعد التداولي للنص، وفيه تم التأكيدُ على أن المستوى التداولي للنص لا ينفك عن المستوى التركيبي الذي يقوم في جوهره على العلاقات النحوية؛ إذ إن الرافد اللغوي يُعَدُّ أهمَّ الروافد التي تستمد منها التداولية وجودها. وفي المبحث نفسه تم عرض بعض الإرهاصات الدالة على وعي أسلافنا القدامى بأهمية التركيب اللغوي في تداولية النص، ومدى أهمية ما تحققه العلاقات النحوية لأمن اللبس داخل النص، وتم عرض النماذج والأمثلة الدالة على ذلك شعراً ونثراً.

وفي المبحث الثاني عرض البحث للقصدية والتقبلية؛ إذ إنهما يشكلان معيارين من المعايير السبعة التي يتنصص بها أيُّ نص شعراً كان أو نثراً. فالقصدية لا تتحقق إلا بتحقق السبك والحبك اللذان لا يتحققان إلا بتحقق ووجود العلاقات النحوية، وقد وعى ذلك علماء العربية القدامى، وتم عرض النماذج المفسرة لذلك. كما أن التقبلية في أساسها مبنية على تبادل الكلام بين الأطراف المتخاطبة، ولا بد من توافق القصدية مع التقبلية، وإلا كانت التداولية سالبة تجعل منتج النص في وادٍ والمتلقي في وادٍ آخر، كمت سيتم مناقشته باستفاضة داخل البحث.

الكلمات المفتاحية: العلاقات النحوية - التداولية – النص – البعد التداولي – القصدية – التقبلية – أمن اللبس.

المقدمة:

لا يمكن أن يُتصوَّر وجود لغة من اللغات دون أن تكون هناك مجموعة من العلاقات تربط بين ألفاظها ومعانيها، وحين تخلو لغة ما من مثل هذه العلاقات تتحول إلى لغة هرائية لا يمكن أن تؤدي أعظم وظيفة للغة، وهي الفهم والتواصل بين أفراد المجتمع. وهذا ما أقره سوسير؛ إذ رأى أن اللغة "نظام من العلاقات بين الوحدات التي تشكلها، وهذه الوحدات ذاتها تتشكل هي الأخرى من الاختلافات التي تميزها عن سواها من الوحدات التي لها بها علاقة. وهذه الوحدات لا يمكن أن يُقال إن لها وجودًا بذاتها؛ بل تعتمد في هويتها على أندادها. فالمحل الذي تحتله وحدة ما سواء أكانت صوتية أو معنوية في النظام اللغوي هو الذي يحدد قيمتها."(١)

وما دفع الباحث إلى رصد فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص هو ما لاحظه من إهمال للجانب التداولي في المقاربات والدراسات النصية العربية الحديثة؛ علَّ أن يكون في ذلك تأكيدٌ على أن النص لا يقتصرُ فقط على كونه بنيةً تركيبيةً لها ظاهرٌ وباطن، وإنما هو آلةٌ للتواصل بين فرد وآخر، أو بين فردٍ وعدة أفراد.

وهو ما دفع فان ديك في كتابه [النص والسياق] إلى إدراج المستوى التداولي في تحليل الخطاب؛ إذ يرى "أن النحو المصاغ على هذا الشكل ينبغي أن يُوسَّع [أن يُتمم]

(١) البنيوية وما بعدها - جون ستروك - ترجمة د. محمد عصفور - عالم المعرفة - ع ٢٠٦ - الكويت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: صـ ١٨ - ١٩

بمستوى وصفي ثالث، وهو مستوى العمل [Action]؛ بمعنى أن القول لن يُوصف فقط باعتبار بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما سيُوصف أيضًا باعتبار الفعل المنجز بإنتاج مثل هذا القول؛ أي إنَّ إضافة هذا المستوى سيمكِّن من إعادة بناء جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداوليًا، وبتعبير آخر مناسبتها إلى السياق التواصلي الذي تُنجز فيه."[٢]

ومن ثم يتحتَّم أن يدخل ضمن عناصر تحديد النص شيءٌ آخر غير بنيته التركيبية؛ فالنصُّ وإن كان في ذاته صياغة لغوية؛ فإنه إلى جانب ذلك بنية أدائية؛ حتى إن قيمته الأدبية كثيراً ما تكون رهينة المقام الذي يسلك فيه، وهذه هي البنية الإفضائية التي تتوالج مع البنية التركيبية. ومن ثم فالنصُّ تركيبٌ وأداء أو هو لفظٌ وتلفظ واستقبال.[٣] أي إن النص لا بد أن يتضمن رسالةً لغوية تنتقل بين طرفي عملية الاتصال [المرسل - المرسل إليه] أو [المنتج - المتلقي]، وتكون هاته الرسالة محكومةً بضوابط لغوية [الجانب التركيبي]، وضوابط دلالية [الجانب الدلالي][٤]، والجانب التداولي، ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:

---

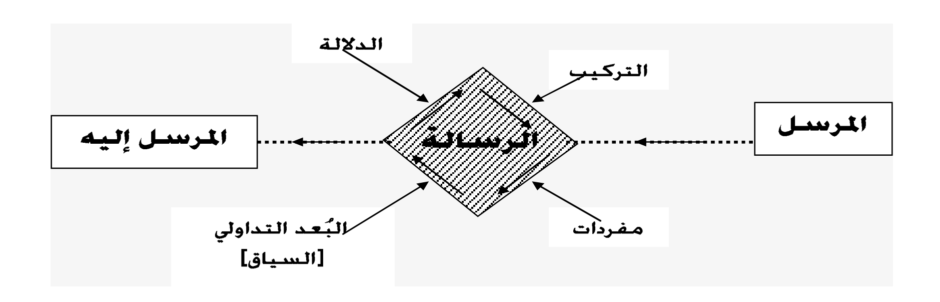
(٢) لسانيات النص - محمد خطابي – المركز الثقافي العربي – ط١ - ١٩٩١م: صـ ٢٩

(٣) انظر: قضية البنيوية [دراسة ونماذج] – عبد السلام المسدي – دار الجنوب للنشر – د.ط – تونس ١٩٩٥م: صـ ٥٢

(٤) ورغم أن الدلالة والتداولية كلتيهما تُعنى بقضية المعنى؛ فقد ذهب ليتش LEECH إلى التفريق بينهما؛ ومن أجل وَضْع حدود فاصلة بينهما. ومن ثم رأى أن الفرق بينهما يتمثل في أن [الدلالة] تهتم بالمعنى MEANING في ذاته، في حين تستحضر التداولية لفهم المعنى عنصر المتكلم SPEAKER أو مستعمل اللغة USER LANGUAGE مع ما يقصده من مقصود. [انظر: البعد التداولي عند سيبويه - مقبول إدريس - عالم الفكر - ع١- مج٣٣ يوليو، سبتمبر ٢٠٠٤م: صـ ٢٨٦]، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال المثال الآتي: [سبحان الله]

١- الدلالة: تنزيه الله سبحانه وتعالى.

٢- التداول: التعجب الكامن في الجملة.



ومن خلال ذلك الشكل يكون النص غير مغلق على جهازه اللفظي والمعنوي؛ إذ "يُشتِّت رتابة توزيع اللغة؛ ليحركها لأبعادٍ معرفية مفتوحة ذات بنية فراغية حجمية غير محددة بمستوى واحد مع اكتمال حركية المعنى التي يتركها النص بما يتناسب وسوية المتلقي. وهذا النص يوظِّف العلاقة التواصلية بين المفردات بطريقة مختلفة؛ نقيضة اختلافية يفتح اللغة على مساحة غير منضبطة من سياقات البناء الداخلي، وسياقات القراءة؛ وذلك لتستمد القصيدة حركيتها وعنفها من تحريك الدلالات في سياق بعدي جديد ومختلف."(٥)

وللكشف عن فاعلية العلاقات النحوية في الجانب التداولي للنص؛ فإن البحث سيوضِّح ذلك من خلال محورين تتحقق بهما تداولية النص؛ شعرًا كان أو نثرًا، ويساعد على ذلك أن التداولية "لا تمتلك وحدات تحليل خاصة units of analysis بها ولا موضوعات مترابطة Correlation topics"(٦) وهذان المحوران هما:

---

(٥) انظر: زمن النص – د. جمال الدين الخضور – دار الحصاد للنشر والتوزيع – ط١ – سورية، دمشق ١٩٩٥م صـ١٠٧.

(٦) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – د. محمود أحمد نحلة – مكتبة الآداب – ط١ – القاهرة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م: صـ١٤ – ١٥.

١- البعد التداولي للنص.

٢- القصدية والتقبلية.

فالمحوران السابقان سيوضحان أهمية التداولية؛ إذ تسهم في وصف النص العربي ورصد خصائصه التي ينماز بها عن اللا نص؛ لذلك رأى الدكتور مسعود الصحراوي أن استثمار التداولية "في قراءة الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى؛ سيسهم أيضًا في اكتشاف، وتثمين جوانب من الجهود الجبَّارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء."[(٧)]

(٧) التداولية عند العلماء العرب [دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي] – د. مسعود الصحراوي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م: صـ ٦

المبحث الأول

البُعد التداولي للنص

من اللافت للنظر في الدراسات المعاصرة أنه لم يَعُد يُنظر إلى التداولية على أنها النظرية التي تهتم بالمشكلات اللغوية الهامشية Marginaux التي لم تعالجها اللسانيات [الفونولوجيا – التركيب – الدلالة]؛ إذ كان هناك اتجاه ما لتعريف التداولية في سبعينيات القرن المنصرم بأنها قمامة اللسانيات.(٨)

وقد زاد الاهتمام بالتداولية مع ظهور نظرية علم النص التي انصهر فيها - من وجهة نظر البحث - عدة معايير مختلفة تحقِّق نصية النص؛ منها ما يهتم بالجانب التركيبي [السبك] ويكون ظاهراً على سطح النص. ومنها ما يهتم بالجانب الدلالي [الحبك] ويكون مقرُّه في باطن النص، ومنها أيضاً ما اهتم بالجانب التداولي [القصدية – التقبلية – الإعلامية – الموقفية].

ومن ثم غدت التداولية بصورة عامة تَهْدف إلى دراسة اللغة في الاستعمال؛ لذلك فهي تبلور الجانب الأكبر والأهم من جوهر علم النص؛ مما يؤدي إلى حدوث نقلة نوعية؛ لأن

---

(٨) انظر: البُعد التداولي عند سيبويه: صـ ٢٤٥

هذا "يعني الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها الطبيعي؛ حيث يستعملها الناس إنتاجًا وتلقيًا في موقف ما؛ من أجل التواصل والتفاعل."[٩]

وهناك تعريفات متعددة للتداولية أبرزها:

- التداولية: هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية Functional perspective[١٠].

- التداولية: هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية[١١].

والتعريفان السابقان يتناغمان مع موضوع البحث؛ فالتعريف الأول - على حد تعبير الدكتور محمود نحلة – يحاول أن يوضِّح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية.[١٢] كما أن التعريف الثاني يهتم بالتفاعلات الدلالية المشكلة لباطن النص.

فالمستوى التداولي - من وجهة نظر البحث - لا يمكن أن ينفك بأيٍّ حال من الأحوال عن المستوى التركيبي داخل النص؛ فاللغة عمومًا ولغة النص خصوصًا وجودها واستمرارها مرهونٌ بالاستعمال. ويؤكِّد ذلك تشارلز موريس Charles morris؛ إذ يرى أن التداولية

(٩) علم النص [أسسه المعرفية وتجلياته النقدية] – د. جميل عبد المجيد حسين – مجلة عالم الفكر [في الأدب والنقد والبلاغة] – مج ٣٢ – ع٢ – أكتوبر، وديسمبر ٢٠٠٣م: صـ ١٤١

(١٠) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: صـ ١٢

(١١) انظر: السابق صـ ١٢

(١٢) انظر: السابق صـ ١٢

أحد الفروع الثلاثة المشكِّلة لعلم العلامات أو السيمية Semiotics، وهاته الفروع هـي[١٣]: علم التراكيب Syntax، علم الدلالة Semantcs، التداولية Pragmatics.

وقد تأكَّد هذا التضافر مـن خـلال التحليـل النصـي، ومـن ثـم فالبحـثُ لا يتفـق مـع ما رآه الدكتور محمود نحلة من أنَّ "الأخطاء التداولية لا علاقة لها بـالخروج عـلى القواعـد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية، وهي ليست مستوى يُضـاف إلى هـذه المسـتويات."[١٤] وهذا لا يتعارض مـع كـون البحـث يتفـق مبـدئيًّا مـع الـدكتور نحلـة حـول عـدم انـدراج التداولية تحت أو ضمن أي مستوى من المستويات الفونولوجيـة أو النحويـة أو الدلاليـة؛ لكن في الوقت نفسه؛ فإن البحث لا يمكـن أن يتغافـل عـن الكشـف عـن أهميـة الجانـب التركيبي للنص في تداوليته؛ إذ إن المستوى التركيبي النحوي والـدلالي يُسـهمان في التداوليـة الخاصة بنصٍّ ما.

ومن ثَمَّ فالروافد التي تستمد التداولية وجودها منها ثلاثة:

١- **الرافد المعرفي:** وتقدمه بعض المباحث في علـم الـنفس المعـرفي، ويتمثـل ذلك في الاستدلالات والاعتقادات والنوايا.

٢- **الرافد التواصلي:** ويشمل ذلك أغراض المتكلمين واهتماماتهم ورغباتهم.

---

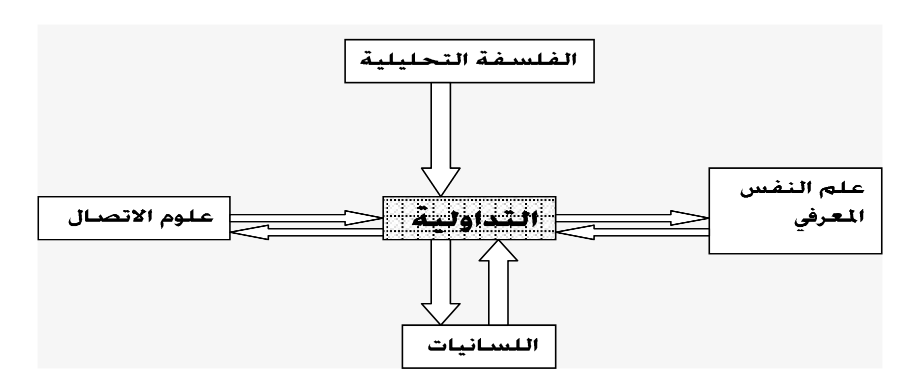
(١٣) انظر: السابق صـ ٩

(١٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: صـ ١٠.

٣- **الرافـد اللغـوي:** ويتمثـل ذلـك في الـدور المهـم والفعَّـال الـذي تقدِّمـه العلاقات النحوية داخل النص(١٥).

ويؤكِّد ذلك أن فلاسفة التحليل اكتشفوا "عدة ظواهر لغوية من وجهـة نظـر تداوليـة ودرسوها، ويتميز تحليلهم لها بالجدة والعمق. والظواهر المدروسة كثـيرة يتعـذر التعـرض لها في هذا المقام، وأهمهـا: الإحالـة، والاقتضـاء، والاسـتلزام الحـواري، ومفهـوم الافتراضـات المسبقة، وظاهرة الأفعال الكلامية."(١٦)

وبناءً على ذلك؛ فالتداولية تمثل حلقة وصل قوية بين عدد من العلوم الإنسانية ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي(١٧):



---

(١٥) استمد البحث الرافدين الأول والثاني من كلام الدكتور مسعد الصحراوي في كتابه [التداولية عند العلماء العرب]، انظر: صـ ٢٨.

(١٦) التداولية عند العلماء العرب – د. مسعود الصحراوي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م: صـ ٢٥.

مـع ملاحظـة أن تعـدد تعريفـات التداوليـة أدَّى إلى تعـدد الـترجمات المقدمـة لمصـطلح Pragmatics ففضلًا عن ترجمته بالتداولية؛ فقد "تُرجم إلى الذرائعية، والمقصدية، والمقاميـة، والتداولية أكثرها شيوعًا، وأقربها إلى طبيعة البحث فيها؛ إذ هو منظـور فيـه إلى تـداول اللغـة بين المتكلم والمخاطب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة."(١٨)

ومن اللافت للنظر وجود بعض اللمحات والإرهاصات الدالة على وعي نحاتنا القدامى بأهمية التداولية أو الاستعمال، ويمكـن اسـتطلاع ذلـك في كتـاب سـيبويه وهـو أول كتـاب يصلنا في علم النحو؛ يقول سيبويه عـن الكـلام: "فمنـه مسـتقيم حسـنٌ ومحـال ومسـتقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محـال كـذب. فأمـا المسـتقيم الحسـن؛ فقولـك أتيتُـك أمْـسِ وسآتيك غدًا، وأمَّا المحال فأن تَنقض أوَّلَ كلامك بآخِره؛ فتقـولَ أتيتـك غـدًا وسـآتيك أمـس. وأما المستقيم الكذب؛ فقولك حَمَلتُ الجبـلَ وشربـتُ مـاء البحـر ونحـوه، وأمـا المسـتقيم القبيح؛ فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد زيدًا رأيـت، وكي زَيـدٌ يأتيـك وأشـباه هذا، وأما المحال الكذب؛ فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسٍ."(١٩)

ففي النص السابق لم ينظر سيبويه للتركيب فقط وإنما قَرَنَ ذلك بالاستعمال، ومـن ثَـمَّ كانت أحكامه على أنماط تركيبية مختلفة؛ منها المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب اللذان يحققان التداولية الموجبة. والمستقيم القبيح الذي يحقق التداولية السـالبة يمكـن أن يعـثر

---

(١٧) الشكل نقلًا عن [التداولية عند العلماء العرب] صـ ٢٦

(١٨) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: صـ ٥٤

متلقي النص منها على فائدة ولكن يبقى هناك قبح تركيبي؛ نتيجة وضع اللفظ في غير موضعه. والمحال والمحال الكذب اللذان يولِّدان تداولية صفرية لا يمكن لمتلقي النص أن يعثر من خلالها على فائدة معينة.

ويُلاحظ أنَّ سيبويه "لما تحدث عن صنف [المحال] لم ينعته بـ: مستقيم أو حسن كما فعل مع الأصناف الأخرى، مما يدل على عدم كفاية هذا الصنف التواصلية، ومن ثم عدم الاعتداد به تداوليًّا في اللسانيات العربية."(٢٠)

وقد وضع علماء العربية أحكامًا مختلفة يمكن أن تعبِّر عن درجات التداولية(٢١) الخاصة بمختلف التراكيب؛ وما وافق القياس من الكلام وكان كثير التداول من خلال كثرة استعماله على الألسن؛ فإنهم ينعتونه بـ [عربي أصيل] و [عربي]، مثل: [حسن – جيد – كثير – أكثر – أعرف] فضلًا عن وجود بعض الأحكام الأخرى، مثل: [ضعيف - قبيح – شاذ – رديء – لا يقاس عليه]. يقول ابن جني: "ومن ذلك استعمالك أنْ بعد كاد نحو كاد زيد

---

(١٩) الكتاب - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د.ط/ د.ت – بيروت: جـ ١/ ٢٥ - ٢٦

(٢٠) التداولية عند العلماء العرب صـ ٥٢

(٢١) تجدر الإشارة إلى وجود درجات للتداولية؛ إذ أشارت فرنسواز أرمينكو إلى ثلاث درجات من التداولية هي: "**تداولية الدرجة الأولى:** وهي دراسة الرموز الإشارية، ولها سياق خاص هو السياق الوجودي والإحالي. **تداولية الدرجة الثانية:** وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات العامة، ولها سياق؛ إنه السياق الذهني؛ بل السياق المترجم إلى تحديدات العوالم الممكنة. **تداولية الدرجة الثالثة:** وهي نظرية أفعال اللغة، والسياق هو الذي يحدد فيما إذا تمَّ التلفظ الجاد أو الدعابة." [المقاربة التداولية – فرانسوز أرمينكو – ترجمة سعيد علوش – مركز الانتماء القومي – د.ط/ د.ت: صـ ٣٨]

أن يقوم هو قليل شاذ في الاستعمال"[٢٢] ويقول ابن السراج: "وتقول: رأيتُ متاعك بعضَهُ فوقَ بعض إذا جعلت (فوقَ) في موضع الاسم المبني على المبتدأ، وجعلت المبتدأ بعضَهُ كأنك قلتَ: رأيتُ متاعَكَ بعضَهُ أجود من بعض؛ فإن جعلت (فوقَ) وأجودها حالًا نصبتَ (بعضَهُ) وإن شئتَ قلت: رأيتَ متاعَك بعضَه أحسنَ من بعض فتنصبُ (أَحسنَ) على أنه مفعول ثانٍ وبعضُه منصوب بأنه بدلٌ من متاعِكَ. قال سيبويه: والرفع في هذا أعرف والنصب عربي جيدٌ فما جاء في الرفع «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّـذِينَ كَـذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُـوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ» [٢٣]"[٢٤]

وقد فرَّق الجرجاني بين المثالين الآتيين معتمدًا على الجانب التداولي:

- قتل الخارجيَّ زيدٌ.
- قتل زيدٌ الخارجيَّ.

يقول الجرجاني: "فإذا قُتِل وأرادَ مريدٌ الإخبارَ بذلك؛ فإنه يُقدَّم ذكر الخارجيَّ فيقول: قَتَلَ الخارجيَّ زيدٌ. ولا يقول: قتلَ زيدٌ الخارجيَّ؛ لأنه يعلم أن ليس للناسِ في أنْ يعلموا أن القاتلَ له زيدٌ جدوى وفائدةً؛ فيعنيِهم ذكره ويهمُّهم، ويتصل بمسرتِهم ويعلمُ مِن حالِهم

(٢٢) الخصائص - أبو الفتح عثمان ابن جني – تحقيق/ محمد علي النجار – عالم الكتب – د.ط/ د.ت – بيروت: جـ ١/ ١٠٠

(٢٣) سورة الزمر جزء من الآية ٦٠

(٢٤) الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي - تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة – ط٣ – بيروت ١٩٨٨م: جـ٢/ ٥١

أنَّ الذي هم متوقَّعون له ومتطلعون إليه متى يكونُ وقوعُ القتلِ بالخارجيِّ المفسِدِ وأنهم قد كُفُوا شره وتخلصوا منه. ثم قالوا: فإن كان رَجُلٌ ليس له بأسٌ ولا يُقَدَّر فيه أنه يَقْتُلُ فقتلَ رجلًا وأرادَ المخبرُ أن يُخبرَ بذلك؛ فإنه يقدَّمُ ذكرَ القاتلِ فيقول: قتلَ زيدٌ رجلاً ذاك؛ لأنَّ الذي يعنيه ويعني الناسَ مِن شأنِ هذا القتلِ طرافتُه وموضعُ النُّدرة فيه وبُعدهُ كان منَ الظن."[٢٥]

يُلاحَظ في النص السابق أنَّ الجرجاني ربط بين النظام التركيبي للجملة والموقف الذي تُستعمل فيه.

كما يرى الدكتور محمود نحلة أننا إذا التفتنا إلى تراثنا اللغوي الموزَّع بين كتب النحو والبلاغة والفقه، وأصول الفقه، والتفسير والقراءات – يمكننا أن نعثر على بعض الومضات التي تمثل إرهاصًا يدل على وعي القدماء بالجانب الاستعمالي أو التداولي للغة. ويدلُّ على ذلك أن "المدخل الصحيح إلى هذه النظرية العربية للأفعال الكلامية باب من أبواب علم المعاني هو [الخبر والإنشاء]، وما ورد من مناقشات تتصل به في كتب أصول الفقه، والفقه والنحو واللغة." [٢٦]

---

(٢٥) دلائل الإعجاز - أبو الفتح عثمان ابن جني - تحقيق/ محمد علي النجار - عالم الكتب - د.ط/ د.ت - بيروت: صـ ٩٧

(٢٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر صـ ٨٨

تفاعلية العلاقات النحوية والبعد التداولي للنص:

وقد لاحظ البحث حدوث تفاعل واضح بين العلاقات النحوية والبُعد التداولي للنص، وهو ما يؤكِّد عدم انفصال الجانب التركيبي للنص عن الجانب التداولي؛ لذلك حين يقول فولفجانج هاينه: "لم يعد النص نفسه وبناؤه النحوي أو الدلالي الآن نقطة الارتكاز في دراسات علم اللغة النصي؛ بل الممارسات الاتصالية العملية التي تؤسس النص؛ حيث تكون هذه بالطبع... قابلة للتوضيح فقط بواسطة سياقات مجتمعية واجتماعية شاملة. لم تعد النصوص مهمة فقط بوصفها انتاجًا منتهيًا... مما يمكن تحليله نحويًّا/ أو دلاليًّا؛ بل أصبحت تُفحص بوصفها عناصر أحداث عامة، أو أدوات لتحقيق حدس معين للمتكلم من ناحية اتصالية واجتماعية."(٢٧)

والبحث لا يتفق مع [هاينه] في رؤيته السابقة؛ لأنه يهمل الدور الجوهري للتركيب المتمثل في العلاقات النحوية التي تُشكِّل هيكل النص كما يهمل أيضاً الجانب الدلالي وفاعليته على مستوى عالم النص، وهذا لا يصح إطلاقًا – من وجهة نظر البحث – لأن النص يتكامل بجوانبه الثلاثة؛ التركيبي، والدلالي، والتداولي. ولا يمكن تسليط الضوء على أحدهما والاحتفاء به على حساب المستويين الآخرين؛ إذ إن التداولية الصحيحة هي في الأساس مستمدةٌ من تركيب صحيح يعبِّر عن دلالة محددة.

---

(٢٧) مدخل إلى علم اللغة النصي – فولفجانج هاينه, وديتر فيهفيجر – ترجمة د/ فالح بن شبيب العجمي صـ ٦١

وهناك تفاعل حيوي بين العلاقات النحوية وتداولية النص؛ إذ يُسهم البُعد التداولي للنص في تنظيم البنية التركيبية داخل النص، كما تُسهم العلاقات النحوية أيضًا في إثراء تداولية النص، وذلك من خلال ما توفِّره من وسائل أمن اللبس، ومن خلال التفاعل مع الأفعال الكلامية.

العلاقات النحوية وأمن اللبس:

لا شك أن "اللغة العربية – وكل لغة أخرى في الوجود – تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غايةً لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملتبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خُلقت اللغات أساسًا للإفهام والفهم، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية."[٢٨]

ويُعَدُّ وجود العلاقات النحوية بما تتضمنه من مبادئ حاكمة؛ كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير – محورًا أساسيًّا في إزالة الغموض واللبس[٢٩] من النص؛ إذ إن العلاقات النحوية تمثل هيكل النص الذي تُصبُّ فيه المفردات مع مراعاة مبدأ الاختيار والذي يعقبه تفاعلٌ بين ما هو ثابت وما هو متغير.

---

(٢٨) اللغة العربية معناها ومبناها صـ ٢٣٣

(٢٩) وقد حصر الدكتور تمام حسَّان وسائل أمن اللبس؛ إذ يقول: "ونستطيع هنا أن نعدَّ وسائل أمن اللبس التي يستخدمها النحو العربي، وذلك كما يأتي:
١- العلامة الإعرابية ٢- الرتبة ٣- الأداة ٤- البنية ٥- المعنى العام ٦- التطابق.
وتشمل العلامة الإعرابية الحركة والحرف ولكل منها مجاله في الدلالة الإعرابية" [أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية – د. تمام حسان - مجلة كلية دار العلوم – ع ١ – جامعة القاهرة ١٩٦٨ / ١٩٦٩م: صـ ١٢٧]

ولذلك منع النحاة حذف العامل مع غياب قرائن الأحوال، وقد نبَّه على ذلك ابن يعيش بقوله: "منعوا حذف العامل مع غياب قرائن الأحوال، ومن ذلك: أن تقول [زيدًا] مثلًا وتريد [اضرب زيدًا]، وليس ثمة قرينة تدل عليه؛ فهذا لا يجوز لاحتمالات أن يكون المُراد: اضرب زيدًا، أو أكرم زيدًا، أو اشتم زيدًا، وغير ذلك مما لا يُحصى."[(٣٠)]

ومن ثم فإن هَتْكَ العلاقات النحوية داخل النص يؤدي إلى هتك التركيب وهو ما ينعكس بالسَّلب على تداولية النص؛ إذ يخلق الخلل التركيبي حالةً من اللبس والغموض لدى متلقي النص؛ ولذلك منع سيبويه ونحاة آخرون بعض التراكيب لما فيها من لبس محتمل، وإيهام بغير المقصود يقول سيبويه: "ولا يجوز أن تقول: بعتُ دَاري ذراعًا، وأنت تريد بدرهم؛ فيرى المخاطَبُ أنَّ الدار كلّها ذراعٌ، ولا يجوز أن تقول: بعتُ شائي شاةً شاةً، وأنت تريد بدرهم؛ فيرى المخاطَبُ أَنَّك بعتها الأوّلَ فالأولَ على الولاءِ، ولا يجوز أن تقول: بيَّنتُ له حِسابَه بابًا؛ فيرى المخاطَب أنك إنما جعلت له حسابًا بابًا واحدًا غيرَ مفسَّرٍ، ولا يجوز تَصدَّقتُ بمالي درهمًا؛ فيرى المخاطَبُ أنك تَصدَّقت بدرهم واحد وكذلك هذا وما أشبهه."[(٣١)]

كما تحدث ابن هشام عن اللبس حديثًا مفصلًا في تقرير شامل عند بيانه عن الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها؛ فقد جعل الجهة التاسعة منها " ألأ يتأمل عند وجود المشتبهات، ولذلك أمثلة أحدها نحو زيدٌ أحصى ذهنًا وعمرو أحصى مالاً؛ فإن

---

(٣٠) شرح المفصل – ابن يعيش – عالم الكتب – د.ط/ د.ت – بيروت: جـ١/ ١٢٥

(٣١) الكتاب جـ١/ ٢٩٣

الأول على أن أحصى اسم تفضيل والمنصوب تمييز مثل أحسن وجهًا والثاني على أن أحصى فعل ماض والمنصوب مفعول مثل: «وأحصى كلَّ شيء عدداً»[(٣٢)]"[(٣٣)]

ومراعاة نحاتنا القدامى لمبدأ أمن اللبس مع ملاحظة النظام التركيبي في ذلك – إنما يُعَدُّ دلالةً واضحةً على مدى وعيهم بالجانب التداولي للمركب اللغوي جملةً كان أو نصاً.

مع ملاحظة ما تقوم به القوانين الحاكمة للعلاقات النحوية من دور فعَّال داخل الجملة من أجل أمن اللبس، مثل الرتبة؛ إذ حين يوجد لبسٌ ما لا يستطيع متلقي النص من خلاله أن يميز الفاعل من المفعول؛ فإنه يتحتم الالتزام بالرتبة الأصلية لمكونات العلاقة النحوية، مثل:

ضرب عيسى موسى

فإذا وُجِدَتْ قرينة أخرى كاشفة تبيَّن الفاعل من المفعول؛ فإنه يجوز تقديم أحدهما على الآخر، وقد أوضح ذلك ابن جني؛ إذ يقول: "فإن كانت هناك دلالة أخرى من قِبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: أكل يحيى كمثرى، لك أن تقدِّم وأن تؤخر

(٣٢) الجن جزء من الآية ٢٨

(٣٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري - تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر – ط٦ - بيروت ١٩٨٥م: صـ ٧٨١

كيف شِئتَ، وكذلك ضربَتْ هذا هذه وكلَّم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك أكرم اليَحْيَيان البُشْريَيْنِ وضرب البشريينِ اليحيَوْن."[٣٤]

ومن ثَمَّ فإن العلاقات النحوية تُسهم في تداولية النص من خلال مبدأ الرتبة الحاكم لورود طرفي العلاقة النحوية داخل النص، وفي حالة غياب هذا المبدأ؛ فإن تداولية النص ستكون تداولية سالبة أو صفرية؛ إذ يغيب معها جميع الوسائل التي يقوم عليها النص؛ فيصبح السبكُ تهلهلًا تركيبيًّا، ويتحول الحبك إلى غموض دلالي لا يصل منه متلقي النص إلى هدف أو قضية محددة؛ ففي قول ابن الفارض:

ولو عَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ[٣٥]

يُلاحَظ أنه يحمل معنًى واضحًا نابعًا من الالتزام بقواعد الصياغة التركيبية، التي من ضمنها الرتبة، ومن ثم يستطيع متلقي النص أن يفهم من البيت أن هاته المُدامة لو فاحت وشاعت وانتشرت في الشرق أنفاسها وكان في الغرب مزكوم ليس له من حاسة الشم نصيب؛ لعاد إليه شمُّه وذهب عنه سُقمه[٣٦]. ومن ثم فتداولية البيت تداولية موجبة، ولو أن البيت السابق كتب على الصورة الآتية:

---

(٣٤) انظر: من البنية الحملية إلى البنية المكونية – د. أحمد المتوكِّل – دار الثقافة للنشر والتوزيع – ط١ – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: صـ ٥ بتصرف

(٣٥) ديوان ابن الفارض - ابن الفارض [أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ت ٦٣٢هـ] -تحقيق ودراسة د/ عبد الخالق محمود – مكتبة الآداب – ط٣ - القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م: صـ ١٩٠ ب ١٢

(٣٦) شرح ديوان ابن الفارض - غالب [رشيد بن غالب] - دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي - د.ت/ د.ط – القاهرة: جـ٢/ ١٨٠

عَبِقَـتْ ولـو وفي الغـربِ في الشـــرق   أنفــاسُ الشَّــمُّ مزكــومٌ لعــادَ لــهُ

لتحوَّلت التداولية إلى تداولية صـفرية يُفتَقـدُ معهـا تحصـيل دلالـة واضـحة أو هـدف محدد؛ لذلك فالرتبة لها دورٌ جوهري في بناء تداولية الـنص، وخاصـةً الرتبـة المحفوظـة[٣٧]؛ "لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلَّت لاختلَّ التركيب باختلالها."[٣٨]

ويُعَدُّ الحذف أيضًا من الضوابط الحاكمـة لـورود العلاقـات النحويـة داخـل الـنص؛ إذ يستعمله منتج النص دفعًا للملل والسأم؛ ومن ثم يصبح متلقي النص مشـدود الـذهن إلى عالم النص. وقد تنبَّه حازم القرطاجني إلى ذلك؛ إذ يقول: "إنما يحسُن الحذفُ لقوة الدلالـة عليه، أو يُقصد به تعديد أشياء؛ فيكون في تَعدَادها طولٌ وسآمة؛ فيحذف ويُكتفـى بدلالـة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المُكتفى بالحال عن ذكرها."[٣٩]

---

(٣٧) "ومن الرُّتب المحفوظة في التركيب العربي أن يتقدَّم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، ويتأخَّر البيان عن المبين، والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه، والتوكيد عن المؤكد، والبدل عن المبدل، والتمييز عن الفعل، ونحوه، وصدارة الأدوات في أساليب الشـرط والاستفهام والعرض والتحضيض ونحوها. وهذه الرتبة [صدارة الأدوات] هي التي دَعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة [لا يعمل ما بعدها فيما قبلها]. ومن الرتب المحفوظة أيضًا تقدُّم حرف الجر على المجرور وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به، واو المعية على المفعول معه، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل أو نائب الفاعل، وفعل الشرط على جوابه." [اللغة العربية معناها ومبناها – د. تمام حسان – دار الثقافة – د.ط - القاهرة ١٩٩٤م: صـ ٢٠٧]

(٣٨) اللغة العربية معناها ومبناها صـ ٢٠٧

(٣٩) معترك الأقران في إعجاز القرآن – السيوطي – تحقيق محمد علي البجاوي – دار الفكر العربي – ط١ – القاهرة ١٩٧٣م: مج ١/ صـ٣٠٦

ومن خلال التحليل النصي لاحظ البحث أن الحذف يمكن أن يُسهم بفاعلية في البناء الظاهري للنص؛ وذلك عبر محورين أساسيين؛ هما: المرجعية، والتكرار.(٤٠)

المرجعية: عبارة عن وجود الدليل على المحذوف مقاليًا أو مقاميًا. ويتضح ذلك من خلال هذا الشاهد من قول ابن الفارض:

فإن شئتَ أن تحيا سعيدًا؛ فمُتْ بِهِ   شهيدًا وإلَّا [×]؛ فالغرامُ لهُ أهْل(٤١)

ففي صدر البيت أوجد منتج النص جملة شرط مكتملة الأركان [أداة + جملة فعل الشرط + جملة الجواب]، وفي العجز أتى أيضًا بجملة شرط؛ لكنها غير مكتملة؛ حيث حذف جملة فعل الشرط؛ لدلالة ما قبلها عليها، وتقدير الكلام [وإلا تمت في حبه فالغرام له أهلٌ يموتون فيه].

ومن ثم؛ فإن الحذف في جملة العجز [وإلا فالغرام له أهل] يُحدث مرجعيةً بعقلية المتلقي إلى ما سبق ذكره في جملة صدر البيت [شئت أن تحيا سعيدًا]؛ مما يؤدي إلى إضفاء روح التماسك داخل النص؛ حيث يتعلق السابق باللاحق.

كما يُلاحظ أيضًا التكرار الدلالي الناشئ عن الحذف؛ إذ إن دلالة العنصر المحذوف [×] هي نفسها دلالة العنصر الدال عليه في الجملة السابقة [شئت أن تحيا سعيدًا]؛ يؤدي هذا إلى توسيع ومدِّ السيطرة الدلالية للجملة داخل النص. مما يؤكد أن الحذف

---

(٤٠) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - د/ صبحي إبراهيم الفقي – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – ط ١ – القاهرة ٢٠٠٠م جـ٢/٢٠٨

لا يقل أهميةً عن غيره من الوسائل الأخرى في سبك سطح النص؛ لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور(٤٢)، وهو ما يعود بالإيجاب على الجانب التداولي للنص.

فضلًا عن ذلك؛ فإن الحذف يمثل آليةً من أهم آليات التعرُّف على البنية الكلية للنص؛ إذ ذهب فان ديك إلى أننا "لكي نحصل على البنية الكلية لأية متوالية يجب علينا أن ننفذ عددًا من العمليات"(٤٣)، وهاته العمليات كلها تخضع للحذف؛ "أي حذف مجموعة من المعلومات الدلالية؛ تُنفذ من أجل اختزال النص إلى بنية دلالية كلية أو اختزال المتواليات إلى بنيات جزئية منها تُستخلص البنية الكلية التي يتولد منها النص."(٤٤)

---

(٤١) ديوان ابن الفارض ص١٨٥ ب٥

(٤٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق جـ٢/٢٤٦

(٤٣) لسانيات النص صـ ٢٨٣ نقلاً عن text and context لفان ديك p.143

(٤٤) السابق صـ ٢٨٣ نقلاً عن text and context لفان ديك p.143

وهي ثلاث عمليات كالآتي:

١- حذف المعلومات العرضية: وتتم هاته العملية دون أن يتغير المعنى، والمعلومات المحذوفة هنا غير قابلة للاسترجاع.

٢- حذف معلومات مكونة [أساسية]: أي إن هذه المعلومات تكون مكونة لمفهوم أو إطار ما، ومن ثم فالمعلومات المحذوفة تحدد أسباب ونتائج الأحداث العادية أو المتوقعة، وتتم هذه العملية تحت شرط يتمثل في أن المعلومات المحذوفة تكون قابلةً للاسترجاع استقرائيًا.

٣- التعميم البسيط: وتتعلق هذه العملية بحذف المعلومات الأساسية، وهي حسب المثال الذي ضربه [ديك]؛ انتقال من الخاص إلى العام مثل:

[القط – الفأر – الأسد...الخ] [الحيوان]

وتكون المعلومات المحذوفة هنا غير قابلة للاسترجاع. مع ضرورة التنبيه إلى القيد العام المشترط في هذه العمليات الثلاث، ويتمثل في عدم حذف قضية سابقة تقتضيها قضية لاحقة.

من خلال ما سبق يتبَيَّن أن معرفة الحذف ترجع إلى "الفارق بين مقررات النظام اللغوي، ومطالب السياق الكلامي الاستعمالي"(٤٥) ومن خلال المقارنة بين هذين الإطارين السابقين أمكن للبحث تحديد العناصر المحذوفة في نصوص الدراسة وتحديد مواقعها داخل جمل النص.

وفضلًا عن أهمية العلاقة الإسنادية؛ فعلية كانت أو اسمية في تحقيق التداولية الموجبة للنص – فهناك بعض العلاقات الأخرى التي تتعلَّق بها والتي تؤثِّر أيضًا في تداولية النص، مثل: التمييز؛ إذ إن غيابه من الجملة يُولِّد تداولية صفرية ناتجة عن حالة الإبهام التي تسيطر على الجملة، وذلك مثل قول ابن الفارض:

هـي البـدرُ أوصـافًا، وذاتي سـماؤها   سَـمَتْ بي إليها هِمَّتي حينَ هَمَّتِ(٤٦)

أقصـر عـدمتُك، واطَّـرح مـن أثخنـتْ   أحشاءَهُ النُّجلُ العُيونُ [بدل] جراحًا(٤٧)

فعند حذف التمييز [أوصافًا] من البيت الأول، أو [جراحًا] من البيت التالي له؛ فإنه – لا شك – ستتولَّد حالة من الإبهام والغموض لدى متلقي النص لا يمكن أن تتم معها عملية الاتصال على الوجه الأكمل. ومثل ذلك أيضًا لو أنك قلتَ: [اشتريتُ ثلاث ...] أو [عندي أحد عشر...] دون أن تذكر التمييز.

---

(٤٥) اللغة العربية معناها ومبناها صـ٢٩٨

(٤٦) ديوان ابن الفارض/صـ٧٣ ب٢٢

(٤٧) ديوان ابن الفارض /١٧٨ ب١٣

ومن العلاقات النحوية أيضًا التي تتعلق بالإسناد والتي لها دور واضح وفعَّال في تداولية النص – علاقة الإضافة؛ إذ يتم من خلالها إزالة الإبهام في حالة الظروف الملازمة للإضافة، مثل: [إذ(٤٨) – إذا – حيث(٤٩)] ومثلها أيضًا الأسماء الملازمة للإضافة نحو: [غيرك – مثلك – حسبك...].

وقد تنبَّه نحاتنا إلى الإبهام الواقع في الظروف السابقة؛ إذ يقول ابن يعيش عن [إذ]: "فأمَّا [إذ] فإنها تقع على الأزمنة الماضية كلها مبهمة فيها لا اختصاص لها ببعضها دون بعض؛ فاحتاجت لذلك إلى ما يوضحها، ويكشف عن معناها، وإيضاحها يكون بجملة بعدها؛ فصارت بمنزلة بعض الاسم، وضارعت الذي والأسماء الناقصة المحتاجة إلى الصلات."(٥٠)

وكذلك أيضًا [حيث] وهو ظرف المكان الوحيد الذي اختص بالإضافة إلى جملة؛ كي تتمّه وتزيل عنه إبهامه؛ ونظرًا لافتقار [حيث] "إلى جملة بعدها أشبهت الذي ونحوها من الموصولات في إبهامها في نفسها وافتقارها إلى جملة بعدها توضحها"(٥١). مع ضرورة ملاحظة أن الإضافة إلى الظروف السابقة لا ترفع عنها الإبهام بالكلية؛ نظرًا لإغراقها في هذا الإبهام؛ لكن ما يحدث هو نوعٌ من التخصيص، وهو إحدى درجات التعريف لتلك

---

(٤٨) مثل قول ابن الفارض: فَجَعَلْتُ خَلْعي للْعِذارِ لِثامَهُ، إذ كانَ، مِن لَثْمِ العِذارِ، مُعَاذَا [ديوان ابن الفارض/٦٦ ب ٢٥] وكم يبدو إذْ مُزِجَتْ نَجْمُ [ديوان ابن الفارض /١٨٩ ب ٢]

(٤٩) مثل قول ابن الفارض: أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبّها النَّفسُ حَيثُ لا رقيب حِجًا سِرًّا لسِرِّي [ديوان ابن الفارض / ٩٩ ب ١٣٠]

(٥٠) شرح المفصل – ابن يعيش – مكتبة المتنبي – د.ت/ د.ط – القاهرة : جـ ٤/ ٩٥

(٥١) السابق جـ ٤ / ٩١

الظروف بنوعيها المتمكنة وغير المتمكنة. ويُلاحظ مثل ذلك أيضًا في الأسماء الملازمة للإضافة مثل: [غير – سوى – مثل – حسبُك...] فهي أيضًا مغرقة في الإبهام، ولا تتعرف بأيِّ حال من الأحوال عند بعض النحاة مثل الفارسي؛ إذ يقول: "وفي الأسماء أسماءٌ قد أُضيفت إلى المعارف، ولم تتعرف بذلك للإبهام الذي فيها، وأنها لا تخصُّ شيئًا بعينه؛ فمن ذلك: غير، ومثل، وسوى. تقول: مررتُ برجل غيرك، وبغلام مثلك؛ فتصف بها النكرة."(٥٢)

إلا أن هناك بعض النحاة ومنهم ابن يعيش رأوا إمكانية تعريف هاته الأسماء المغرقة في الإضافة؛ وذلك "إذا شُهِرَ المضاف بمغايرة المضاف إليه أو بمماثلته"(٥٣) ومن ذلك قوله تعالى: «اِهْدِنَا الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» (٥٤) فهنا الغيرية محصورة بين الذين أنعم الله عليهم [المؤمنون]، والمغضوب عليهم [اليهود].

وبناءً على ذلك؛ فقد لاحظ البحث أنَّ الجانب التركيبي للنص، والذي يقوم على تفاعلات العلاقات النحوية - يؤثِّر بالسَّلب أو الإيجاب أو الصفرية على تداولية النَّص؛ إذ إن العلاقات النحوية قد تولِّد تداولية سالبة معاكسة لمقصد منتج النص، وقد تولِّد تداولية موجبة كما في المثال الآتي:

لو أنَّ سائلًا سألك: هل شُفي أبوك؟ وقلت:

---

(٥٢) الإيضاح العضدي – أبو علي الفارسي – تحقيق حسن شاذلي فرهود - - دار التأليف – ط١ – القاهرة ١٩٦٩م: جـ ١/ ٢٦٨

(٥٣) شرح المفصل جـ ٢/ ١٢٦

(٥٤) الفاتحة آية ٦ - ٧

أ. لا شفاه الله. ← **تداولية سالبة**

ب. لا وشفاه الله. ← **تداولية موجبة**

فيُلاحظ في المثال [أ] حين غابت [الواو] من التركيب أدَّى ذلك إلى تغير سلبي في قصدية منتج النص [المتكلم]؛ مما أدَّى إلى تولُّد تداولية سالبة؛ إذ إن المتلقي [المُخاطَب] قد يفهم أنه يدعو على أبيه بعدم الشفاء، وهذا ما لا يقصده المتكلم.

أمَّا في المثال [ب] حين وُضعت [الواو] فَصَلَتْ بين المعنيين؛ معنى الإجابة عن السؤال بالنفي، ومعنى الدعاء له بالشفاء، ومن ثمَّ ترتب على ذلك تولُّد تداولية موجبة موافقة لمقصد [المتكلم] منتج النص. كما أنه يمكن أن تتولَّد تداولية صفرية إذا لم يُفهم شيءٌ من التركيب، مثل قولك:

- [شُفي لا الله] ← **تداولية صفرية**

وقد التفتَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهمية التركيب في الاستعمال؛ إذ يُروى أنَّ أبا بكرٍ الصديق مرَّ به رجلٌ ومعه ثوب؛ فقال له أبو بكر: أتبيعه؛ فقال: لا رحمك الله؛ فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقوَّمتُ ألسنتكم، هلا قُلتَ: لا ورحمك الله(٥٥).

---

(٥٥) انظر: المستطرف في كلِّ فن مستظرف – شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي – تحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – ط٢ – بيروت ١٩٨٦م: جـ١/ ٩٨ وانظر أيضًا: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – ط١ – القاهرة ١٩٦٥م: صـ ٦١١

لذلك حقَّ للمأمون أن يعجب من ظُرف هاته الواو قائلًا: "ما أظرف هـذه الـواو وأحسـن موقعها."(٥٦)

وقد التفتَ [بول ريكور] إلى أهمية العلاقات النحوية في تشكيل البُعد التداولي للـنص؛ إذ يقول: "وبهذا تُقَدَّم الجملة كمنطوق قابل بهذا المعنى أو ذاك؛ للإرسال إلى آخرين. ومـا يُعيِّنُ بهذا الشكل هو البنية الإسنادية نفسها كما يوضـح المثـال السـابق - أغلقـوا البـاب. هكذا تُحدِّد الجملة الفعلية بمسندها الخاص [فعل ما]، وبحُجَّتيها [الفاعل والمفعول]."(٥٧)

---

(٥٦) يُحكى "أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيءٍ فقال: لا وأيَّد الله أمير المؤمنين؛ فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها". [المستطرف في كل فن مستظرف جـ ١/ ٩٨].

(٥٧) من النص إلى الفعل [أبحاث التأويل] - بول ريكور - ترجمة: محمد برادة وحسَّان بورقية - عين للدراسات والبحوث الإنسانية - ط ١ - ٢٠٠١م: صـ ٨٢

البُعد التداولي، وتنظيم بنية النص:

لا شك أن البُعد التداولي للنص يتحقق بصورة عامة في حالة قيام البناء اللغوي للنص بإحداث حالة دينامية من التفاعل القائم بين البنية اللغوية للنص، وما يؤديه من وظيفة اتصالية بين منتج النَّص ومتلقيه.[٥٨]

وبناءً على ذلك فإن تحقُّق البعد التداولي يؤدي إلى تنظيم البنية التركيبية لسطح النص بصور وأنماط تركيبية متعددة؛ وهو ما لا يمكن معه التكهُّن بصورة تركيبية واحدة يأتي عليها سطح النص؛ إذ تتقدم أحيانًا المكونات التركيبية ذات الحجم أو الامتداد الأقل على المكونات الأطول من حيث الامتداد التركيبي، وقد يحدث العكس كما سيجيء بيانه.

وجديرٌ بالذكر أنَّ نحاتنا القدامى لم يلتفتوا إلى فاعلية البُعد التداولي في تنظيم البنية التركيبية للجملة، إذ فسَّروا ما يعرض لبنية الجملة من حذف وتقديم وتأخير... إلخ معتمدين فقط على بعض القواعد التي أسماها الدكتور تمام حسَّان بــ [قواعد التوجيه] ويُقصد بها "تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة؛ ليلتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية [سماعًا كانت أم استصحابًا أم قياسًا] التي تُستعمل لاستنباط الحكم."[٥٩]

---

(٥٨) انظر: من البنية الحملية إلى البنية المكونية – د/ أحمد المتوكِّل – دار الثقافة لنشر والتوزيع – ط١ – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: صـ ٥ بتصرف

(٥٩) الأصول – د. تمام حسَّان – عالم الكتب – د.ط – القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: صـ ١٨٩ - ١٩٠

ومـن ضـمن قواعـد التوجيـه التـي اسـتعملها النحـاة لاسـتنباط الأحكـام، مـا ذكـره ابن يعيش من أن "المفرد أخف من المركب"(٦٠) وظلَّ النحاة بعد ذلـك يغزلـون عـلى هـذه القاعدة غافلين تمامًا عن أثر البعد التـداولي أو مـا يُسـمى بمقتضيات السـياق في الجملـة. ومن ثم تجد ابن عصفور يذكر أنه إذا اجتمعت "صفة مع صفة هي في تقدير اسم قدمت ما هو اسم على ما هو في تقديره، وذلك نحو قولك: مررت برجل قائم في الدار، إذا جعلت المجرور في موضع الصفة لـ [رجل] ولا يجوز أن تقـول: مـررتُ برجـل في الـدار قـائم إلا في ضرورة شعر أو في نادر كلام."(٦١)

وما سبق لا يتعارض مع وجود بعض الإرهاصات التي تدل على وعي النحاة بمقتضيات السـياق؛ إذ يُفهَـم ذلـك مـن كلامهـم وإن لم يصرحـوا بـذلك. ويـدخل في إطـار ذلـك قـول ابن مالك: "إذا نُعِتَ بمفرد وظرف وجملة قُدِّم المفرد وأُخِّرت الجملة غالبًا."(٦٢)

وقول ابن مالك [غالبًا] إنمـا يـدلُّ عـلى مخالفـة الاسـتعمال لمثـل هـذه القاعـدة التـي وضعها النحاة، مثل قوله تعالى: «وهذا كتاب أنـزلناه مبارك»(٦٣)؛ إذ يُلاحَظ في الآية السابقة تقدُّم المركب الأطول [أنزلناه] على كلمة [مبارك]، وكلاهما يؤدي وظيفة الصفة.

---

(٦٠) شرح المفصل جـ ١/ ٥٧

(٦١) شرح جمل الزجاجي – ابن عصفور جـ١/ ٢٧ - ٢٨

(٦٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – ابن مالك – تحقيق محمد كامل بركات – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – د.ط – القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م صـ ١٦٩

(٦٣) الأنعام جزء من الآية ٩٢

ويزداد الأمر وضوحًا إذا وُضِعت الآية السابقة في مقابل آيةٍ أخرى من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: «وهذا ذكر مبارك أنزلناه»(٦٤) فيُلاحظ في الآية السابقة تقدُّم العنصر المفرد [مبارك] على العنصر المركب [أنزلناه].

ومجيء مثل هاته الأنماط التركيبية في القرآن الكريم؛ هو ما جعل أبا حيان يقرِّر زيف و"بطلان قول مَنْ ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم."(٦٥) وذلك في صدر تفسيره لقوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ»(٦٦) إذ لاحظ تَقَدُّم العنصر المركب [يحبهم] ثم عطف عليه جملة [يحبونه]، ثم جيء في نهاية الأمر بالعنصر المفرد [أعزة]، وهو يؤدي أيضًا وظيفة الصفة.

وكلُّ ذلك يُؤكِّد أن البُعد التداولي [مقتضيات السياق]، هو الذي يؤدي إلى تنظيم البنية التركيبية لسطح النص؛ إذ ليست هناك قاعدة ثابتة تتحكم في الصورة التركيبية التي ينبغي أن يأتي عليها سطح النص دائمًا، وهو ما يؤكِّد بطلان ما اتُّفق عليه في الدرسين التراثي والمعاصر حول أولوية "البدء بالمكونات النحوية ذات الحجم الأقل، ثم تأتي بعدها

---

(٦٤) الأنبياء جزء من الآية ٥٠

(٦٥) تفسير البحر المحيط - محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي – تحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ/ علي محمد معوض, وشارك في التحقيق د/ زكريا عبد المجيد النوقي, ود/ أحمد النجولي الجمل– دار الكتب العلمية – ط ١ – لبنان , بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١مجـ٣ / ٤١٠

(٦٦) المائدة جزء من الآية ٥٤

المكونات النحوية الأقل، ثم تأتي بعدها المكونات النحوية الأكبر حجمًا"[٦٧] إذ أثبـت الواقـع الاستعمالي عكس ذلك.

ولـذلك يُؤخَـذ – مـن وجهـة نظـر البحـث – عـلى أصـحاب الاتجـاه الـوظيفي أنهـم لم يلتفتوا إلى أهمية البُعـد التـداولي [مقتضـيات السـياق] في تنظـيم وحـدات الجملـة؛ إذ ذهب [سيمون ديك] إلى أن العامل الحاسم في تنظيم وحـدات الجملـة إنمـا هـو البسـاطة والتعقيد المقولي؛ فالوحدات الكلامية البسيطة، مثل: الضمائر والمركبـات الاسـمية تنـزع إلى التقدم على الوحدات الكلامية المعقـدة أو الممتـدة مـن الناحيـة التركيبيـة[٦٨]. والاسـتعمال أثبت خلاف ذلك كما مرَّ في الأمثلة القرآنية السابقة.

وفضلًا عن تنظـيم البُعـد التـداولي للبنيـة التركيبيـة لسـطح الـنص؛ فإنـه يسـهم أيضًـا بفاعليـة في تحديـد البنيـة الدلاليـة المشـكِّلة لبـاطن الـنص، وذلـك مـن خـلال مـا يؤدِّيـه السياق[٦٩] من دور فعَّال في تحديـد الدِّلالـة؛ إذ إن السـياق لـه أهميـة خاصـة في الجانـب التداولي للنص؛ حتى إن هاليداي رأى أنَّ السـياق يمثـل "الـنصَّ الآخـر أو الـنص المصـاحب

---

(٦٧) امتداد المكون النحوي وتأثيره في تحديد الموقع – د. طه محمد عوض الله الجندي – مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: صـ ٩١

(٦٨) انظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي – د. أحمد المتوكل – بدون دار نشـر - د.ط – الرباط ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: صـ ٧٧ وما بعدها.

(٦٩) كما عرَّف جاكبسون السياق بأنه "الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها؛ فتمثل خلفية للرسالة تمكِّن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها" [النص والخطاب "قراءة في علوم القرآن" صـ ٨٣ نقلًا عن [الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية] للدكتور عبد الله الغذامي.

للنص الظاهر"(٧٠) والرؤية السابقة لهاليداي إنما تدلّ على تلاحم السياق بالنص؛ إذ إنه يمثل "البيئة اللغوية بأسرها وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية".(٧١)

ومن ثَمَّ فالسياق في الدرس التداولي يكون "بمثابة العنصر الفاعل في توضيح الكلام؛ بل في صحته والوصول به إلى درجة القبول في معناه ومبناه"(٧٢)، وربما كانت ملاحظة هاته العلاقة الوطيدة بين السياق والتداولية(٧٣) بصورة عامة هي ما دفعت البعض إلى تعريف التداولية "بأنها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة".(٧٤)

والتعريف السابق للتداولية إنما يؤكِّد على أهمية البعد التداولي [مقتضيات السياق] في البناء الدلالي للنص(٧٥)؛ فالسياق اللغوي – على سبيل المثال – يوضِّح كثيرًا من العلاقات

(٧٠) علم النص ونظرية الترجمة – د. يوسف نور الدين – دار الثقافة للنشر والتوزيع – ط ١ – مكة المكرمة ١٤١٠هـ: صـ ٣٣

(٧١) السابق صـ ٣٣ - ٣٤

(٧٢) التفكير اللغوي بين الجديد والقديم – د. كمال بشر – دار غريب – ط ١ – القاهرة ٢٠٠٥م: صـ ٣٦٧ – ٣٦٨.

(٧٣) وقد تجلَّت هاته العلاقة الوطيدة بين السياق والتداولية لدى فان ديك في أثناء تصنيفه لأنواع السياق؛ إذ صنفه خمسة أصناف؛ هي: [السياق التداولي – السياق الإدراكي أو المعرفي – السياق النفسي – السياق الاجتماعي – السياق الثقافي] وفي السياق التداولي لا يتم الاكتفاء فقط بدراسة النصوص؛ من حيث البنية التركيبية، وإنما يمتد ذلك إلى وظائفها؛ أي إن دراسة النص لا تكون فقط لمعرفة شكله ومحتواه، وإنما لمعرفة الوظائف التي ينجزها النص أيضًا. [انظر: النص بنايته ووظائفه {مدخل أولي إلى علم النص، من نظرية الأدب في القرن العشرين} – فان ديك – ترجمة د. محمد العمري – إفريقيا الشرق – الدار البيضاء – د.ط – ١٩٩٧م: صـ ٦٥ ، وما بعدها]

(٧٤) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان – أوزولدزا ديكرو، وجان ماري شمايفر – ترجمة منذر عياشي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط٢ – المغرب ٢٠٠٧م: صـ ٦٧٧

(٧٥) ولعل هاته التلازمية بين السياق والنص هي التي دفعت هاليداي ورقية حسن إلى عنونة مؤلفهما بـ [اللغة، والسياق، والنص] الذي أكَّد فيه أنَّ الفكرة الأساسية للكتاب تهدف إلى الكشف عن العلاقة الوطيدة بين السياق والنص؛ إذ إنَّ كلًّا "من السياق والنص يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر" [الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض "بحث في المنهجو شكلية" – يوسف أوغليسي – إصدارات رابطة الإبداع الثقافية – د.ط – الجزائر ٢٠٠٠م: صـ٣٣

الدلالية عندما يُستخدم مقياسًا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك.[٧٦]

كما أنَّ للسياق دورٌ فعَّال في تحديد المعنى داخل النص، ويتضح ذلك من خلال ملاحظة كلمة [الكتاب] في الأمثلة الآتية:

١- الكتاب من أقدم كتب النحو.

٢- «ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» [٧٧]

٣- «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا»[٧٨]

ففي المثال الأول دلَّت كلمة [كتاب] على مؤلَّف لسيبويه، وفي الثاني دلَّت على القرآن الكريم، وفي الثالث دلَّت على فريضة الصلاة.

ومثل ذلك أيضًا الفعل [يأكل] في الآيات القرآنية الآتية:

١. «وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ»[٧٩]

٢. «وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ»[٨٠]

---

(٧٦) انظر: مبادئ اللسانيات - د. أحمد قدور - دار الفكر المعاصر - ط ١ - بيروت، لبنان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: صـ٢٩٥

(٧٧) البقرة جزء من الآية ٢

(٧٨) النساء جزء من الآية ١٠٣

(٧٩) الفرقان جزء من الآية ٧

٣. «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»[٨١]

يُلاحظ تعدد دلالة الفعل [يأكل] في الآيات القرآنية السابقة؛ فهو في الآية الأولى بمعنى التغذية للإنسان، وفي الثانية بمعنى الافتراس للحيوان، وفي الثالثة بمعنى الغيبة للإنسان. وتتجلى كلُّ دلالة من الدلالات السابقة للفعل [يأكل] من خلال تفاعل السياق اللغوي مع السياق غير اللغوي المشتمل على الموقف وقت وقوع الحدث.

لذلك يرى الدكتور تمام حسَّان أن "الوصول إلى المعنى – الدلالي – يتطلب فوق كلِّ ما تقدَّم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام، وهذا العنصر الاجتماعي ضروري جدًّا؛ لفهم المعنى الدلالي؛ فالذي يقول لفرسه عندما يراها [أهلًا بالجميلة] يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته؛ فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض، وربما صحب ذلك ربتٌ على كتفها أو مسح على جبينها. أمَّا بالنسبة للزوجة؛ فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضًا؛ فقد تُقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة؛ فالوقوف عند المعنى المعجمي لكلمتي [أهلًا] و[الجميلة] وعلى المعنى الوظيفي لها وللباء الرابطة بينهما لا يصل إلى المعنى الدِّلالي، ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدِّلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قِيل فيه النص."[٨٢]

---

(٨٠) يوسف جزء من الآية ١٣

(٨١) الحجرات جزء من الآية ١٢

(٨٢) اللغة العربية معناها ومبناها صـ ٣٤٢

ويحسُن التنبيه إلى أن السياق لا يقتصر فقط على تحديد دلالة الكلمة داخل النص، وإنما يمتدُّ إلى تحديد دلالة جملة ما مثل قولك:

صلي على النبي

إذ من الممكن أن تُقال هذه العبارة في سياق الغضب؛ فيكون معناها [اهدأ]. وتُقال لمَنْ تريد أن تستوقفه عن الحديث أو الكلام؛ فيكون معناها [كُفَّ عن الكلام]. وتُقال أيضًا لمن يتسرَّع في القول أو الفعل؛ فيكون معناها [تمهَّل]، وتُقال لمَنْ يستكثر الأشياء أو الخير على الناس؛ فيكون معناها [لا تحسد] وغيرها من المعاني المختلفة التي قد تدل عليها الجملة السابقة، ولا يمكن تحديد دلالتها إلا في إطار السياق الذي تَرِد أو تُقال فيه.

لذلك "لا ينبغي أن ندَّعي الوصول إلى فهمنا للمعنى الدلالي بمجرَّد النظر إلى معنى المقال دون اعتبار المقام. وهل يمكن بالمقال فقط أن نفهم المعنى المقصود من عبارة [زيارة الأصدقاء تُسعد النفس]؟ إننا لا نعرف من هذه العبارة ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مَزورين ولا أن نعرف بدون المقام ما إذا كان النعت في [دار الكتب المصرية] نعتًا للدار أو للكتب، ... هذه العبارات الملبسة تصبح غير ملبسة إذا راعينا [المقام] الذي قِيلت فيه العبارة."(٨٣)

كما أنَّ للسياق أهميةً خاصة في الحكم على مدى ملاءمة الكلمة للكلمات المجاورة لها، وهو ما يؤدي إلى إضفاء مَسْحة من الجمال والمناسبة عليها؛ "ومـمَّا يشهدُ لذلك أنك

(٨٣) الأصول [دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو – فقه اللغة – البلاغة] صـ ٣٠٤

تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ ثم تَرَاها بعينِها تثقلُ عليكَ وتُوحشكَ في موضعٍ آخرَ كلفظِ الأخدع في بيت الحماسة - من الطويل:

[تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجدْتُنِي   وَجِعْتُ من الإِصْغاءِ لِيْتا وأخدعا]

وبيت البحتري – الطويل:

[وإنِّي وإنْ بَلَّغْتَنِي شَرَف الغِنى   وأَعْتَقْتَ مِنْ رِقَّ المطامِعِ أَخْدَعِي]

فإِنَّ لها في هذين المكانَين ما لا يخفى منَ الحُسن. ثم إنَّكَ تتأمَّلُها في بيتِ أَبي تمام - من المنسرح:

[يا دَهْرُ قَوَّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فقدْ   أَضْجَجْتَ هذا الأَنامَ مِن خُرْقِكْ]

فتجدُ لها من الثقل على النفسِ، ومن التَنْغيصِ والتكدير أضعافَ ما وجدتَ هناك من الروح والخفة والإِيناس والبهجة."[٨٤]

فضلًا عن ذلك؛ فمعرفة السياق الذي تُستخدَم فيه اللغة يوضِّح المعنى الوظيفي للغة، ويفرض عليها قيمة حضورية معينة[٨٥] تسهم في تحديد الإشاريات deixis داخل النص؛ إذ

---

(٨٤) دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - تحقيق: د. محمد التنجي- دار الكتاب العربي – ط١ – بيروت ١٩٩٥م صـ ٥٤

(٨٥) انظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة – عاطف مدكور – دار الثقافة – د.ط – القاهرة ١٩٨٧م: صـ ٢٣٧

هناك بعض الجمل والتراكيب التي لا يمكن فهم دلالتها إلا بردِّها إلى سياقها اللغوي وغير اللغوي، مثل:

سوف يصلهم غدًا؛ لأنه ليس هنا الآن

فالجملة السابقة شديدة الغموض؛ لاحتوائها على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادًا تامًّا على السياق الذي قيلت فيه وهو السياق الخارجي للجملة [غير اللغوي] كما تعتمد أيضًا على السياق اللغوي الذي بإمكانه أن يربط العناصر الإشارية [واو الجماعة – ضمير الغائبين هم – اسم الإشارة هذا – ظرفا الزمان غدًا، والآن – وظرف المكان هنا] بالمرجع reference الخاص بها؛ فلا يتضح معنى الجملة إلا بمعرفة ما تشير إليه هذه العناصر. وهذا ما دعا [لفنسون] إلى عدِّ "التعبيرات الإشارية تذكيراً دائماً للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسًا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه."[(٨٦)]

وقد التَفَت سيبويه إلى أهمية السياق في تحديد بنية الجملة داخل النص، ويُوضِّح ذلك المثال الذي ذكره؛ يقول: "إذا رأيتَ رجلًا متوجِّهًا وِجْهَةَ الحاجِّ قاصدًا فى هيئة الحاجِّ؛ فقلتَ مَكَّةَ ورَبِّ الكعبة؛ حيث زَكِنتَ أنَّه يريد مكَّةَ كانَّك قلت يريد مكّةَ واللهِ، ويجوز أن تقول: مكّةَ واللهِ على قولك أَرادَ مكةَ والله كأَنّك أخبرتَ بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمسِ؛ فقلتَ مكة واللهِ أيْ: أراد مكة؛ إذ ذاك ومن ذلك قوله عز وجلّ: «بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

---

(٨٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر صـ ١٧

حَنِيفًا»(٨٧)! أىْ: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفًا كأنه قيل لهم: اتبعوا حين قِيل لهم كُونُوا هُودًا أو نصارى، أو رأيتَ رجلًا يسددُ سَـهْمًا قِبَـلَ القِرطـاسِ؛ فقلـتَ: القِرطـاسَ واللهِ أىْ: يُصـيبُ القِرطاسَ، وإذا سمعتَ وَقْعَ السَّهم فى القرطاس، قلت: القرطاسَ واللهِ أى أَصـاب القرطـاسَ، ولو رأيت ناسًا يَنظرون الهِلالَ، وأنت مـنهم بَعيـدٌ؛ فكـبَّروا لقلـتَ الهـلالَ وربَّ الكعبـةِ أى أَبَصروا الهلالَ."(٨٨)

والنص السابق لسيبويه إنما يؤكد عـلى وعـي علـماء العربيـة القـدامى بأهميـة البُعـد التداولي [السياق] في تحديد بعض المكونات المحذوفـة مـن الـنص؛ لوجـود بعـض القـرائن المقامية الدالة عليهـا. وقـد نبَّـه الزركشـي إلى ذلـك صراحـةً؛ إذ يـرى أن دلالـة السـياق: "ترشد الى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته. وانظر إلى قوله تعالى: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْـتَ الْعَزِيـزُ الْكَـرِيمُ»(٨٩) كيـف تجـد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير."(٩٠)

ونظرًا لشعور علماء العربية القدامى بأهمية السـياق في توضـيح الـنص؛ فـإنهم قـاموا بتقييد وتسجيل سياقات بعض النصوص وخاصةً النصوص الدينيـة؛ كـما في أسـباب النـزول

(٨٧) البقرة جزء من الآية ١٣٥

(٨٨) الكتاب جـ ١/ ٢٥٧

(٨٩) الدخان آية ٤٩

الخاصة ببعض السور القرآنية، مع ملاحظة أنَّ "هذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النص يمكن الوصول إليها من داخل النص سواءٌ في بنيته الخاصة أو في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام."(٩١)

ومن ثم؛ فالسياق يُعَدُّ جزءًا أصيلًا من التداولية؛ فما التداولية إلا استعمال الكلمات أو العلاقات ضمن سياق محدد، وهو ما دفع ماكس بلاك "إلى إعادة تسمية التداولية بالنظرية السياقية"(٩٢) وهو ما يؤكِّد أهمية السياق في عملية البناء التداولي للنص؛ "لأن النص غالبًا ما ينبني على جملة من المصاحبات الأدبية؛ تلفتُ نظر المتلقي إلى بيئة أدبية ثقافية اجتماعية معينة، لا يمكن فهم النص الأدبي خارجها أو بعيدًا عنها"(٩٣)

ورغم كلِّ ما سبق من أدوار فاعلة للسياق في الجانب التداولي للنص – فإن الدكتور محمد عبد الباسط عيد يرى أنَّ هناك خطرًا يجب أن ننتبه إليه؛ لأن السياق "قد يصبح مع بعض النصوص، وخاصةً الأدبية منها – طاقة سالبةً، تبتلع النصَّ عبر استحواذها على شفرته وسجنها في مطاوي تقاليده؛ فالسياق أكبر من النص، وأسبق منه في

(٩٠) البرهان في علوم القرآن - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله – تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة – د.ط - بيروت، ١٣٩١هـ : جـ٢/ ٢٠٠ - ٢٠١

(٩١) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن – د. نصر أبو زيد – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط١ – القاهرة ١٩٩٠م: صـ ١٢٦

(٩٢) المقاربة التداولية - فرانسوز أرمينكو – ترجمة/ سعيد علوش – مركز الانتماء القومي – د.ط/ د.ت: صـ ١١

(٩٣) تحليل النص الشعري [بنية القصيدة] – يوري لوتمان – ترجمة د/ محمد فتوح أحمد – دار المعارف – د.ط/ د.ت – القاهرة: صـ ١٥٦

الوجود، وأمكن منه في النفوس. وفي أقل أحواله خطورةً قد يجعل النص محاكاة باهتةً لواقع تاريخي محدَّد به يتجمَّد النص وتتوقف دلالته."[٩٤]

والبحث يتفقُ مع بعض ما جاء في النص السابق، ويخالفه في البعض الآخر؛ إذ يتفق البحث معه حول أسبقية السياق للنص بصورة عامة؛ لأنه هو الممهِّد لخلق النص، وأن السياق من الممكن أن يقيِّد النص. غير أن البحث – في الوقت نفسه – لا يتفق معه حول إمكانية ابتلاع السياق للنص، واستحواذه على شفرته؛ لأن هذا وإن افترض أنه موجود فإن ما يمثله مجموعة نصوص قليلة، أمَّا الغالبية العظمى من النصوص فيُلاحَظ فيها أن السياق اللغوي يساعد على معرفة السياق الخارجي للنص، ويكشف قدرًا كبيرًا منه لمتلقي النص. وهو ما يُبرهن على فاعلية العلاقات النحوية في البعد التداولي للنص؛ إذ هي "جزءٌ أساسي من حيوية اللغة وقدرتها على أداء كثير من وظائفها."[٩٥]

ومن ثمَّ فالعلاقات النحوية خاصة والنحو عامة يسهمان بدور واضح في تداولية النص، وليس الأمر كما رأى الأستاذ أحمد الشايب أن النحو "مهمته تنتهي ما دام قد حقَّق لنا صحة العبارة في ذاتها بصرف النظر عن صلتها بالقرَّاء أو السامعين"[٩٦] إذ يرى البحث أن النحو من خلال العلاقات النحوية يسهم بفاعلية في خَلْق البعد التداولي الصحيح للنص؛

---

(٩٤) النص والخطاب [قراءة في علوم القرآن] – د. محمد عبد الباسط عيد – مكتبة الآداب – ط١ – القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: صـ ٨٤

(٩٥) دراسة الأدب العربي – د. مصطفى ناصف – الدار القومية للطباعة والنشر – د.ط/ د.ت – القاهرة : صـ ٢١٤، وانظر أيضًا: النحو والدلالة صـ ٢٣٤

فمجرد الخلل في النظام التركيبي النحوي يؤدي إلى خلل في الجانب التداولي، وهو ما ينعكس بالسلب على عملية فهم النص، ومن ثَمَّ كان سيبويه على حقٍّ عندما "نبَّه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنَّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك؛ بل هو يبين في كلِّ باب ما يليق به حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني."(٩٧)

❑❑❑❑❑

---

(٩٦) الأسلوب [دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية] – أحمد الشايب – دار النهضة المصرية – ط٦- القاهرة ١٩٦٦م: صـ ٢٦، وانظر: النحو والدلالة صـ ٢٩

(٩٧) الموافقات في أصول الفقه – الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - تحقيق : عبد الله دراز - دار المعرفة – د.ط/ د.ت – بيروت: جـ ٤/ ١١٦

المبحث الثاني
القصدية والتقبلية

يُلاحَظ في الدراسات النصية أنَّ القصدية والتقبلية تشكلان معيارين من المعايير السبعة التي يتنصَّص بها النص[٩٨] وقد أدرج البحث المعيارين ضمن الآليات المشكِّلة لتداولية النص؛ لأن التداوليات الحديثة أوْلَتْ عنايةً كبيرة لعنصري المتكلم والمخاطب؛

(٩٨) يرى روبرت آلان دي بيوجراند أن نصية النص تتحقق بتحقق سبعة معايير تكفل للنص صحة كونه نصًّا، وهذه المعايير هي:

١- السبك Cohesion : ويشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص... الخ

٢- الحبك Coherence : ويشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة، من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضًا محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية.

٣- القصدية Intentionality : أي قصدية المنتج توفير التضام, والتقارن في النص وأن يكون أداة لخطة موجهة لهدف .

٤- التقبلية Acceptability : أي تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضامًّا متقارنًا ذا نفع للمستقبل, وذا صلة به .

٥- الموقفية Situationality : وهي تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع.

٦- الإعلامية Informativity : وهي تشتمل على عامل الجدة [اللايقين النسبي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث].

٧- التناص Intertextuality : ويتضمن العلاقات بين نصٍّ ما, ونصوص أخرى ذات صلة، تمَّ التعرف إليها في خبرات سابقة. انظر: مدخل إلى علم لغة النص [تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر] - صـ٢٥ – ٣٧ بتصرف.

انطلاقًا من الاعتقاد بأن الخطاب/النص يتوجَّه [من و إلى] أحد الطرفين، وكذا بالنظر إلى طبيعة التفاعل اللساني وغير اللساني الذي يوجِّه الكلام ويُحدِّد مساره إلى درجة ذهب معها [ليتش] إلى أنه لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصةً عنصر المتكلم والسامع اللذين اعتبرهما ركنين لا غنى عنهما ومظهرين مهمين في الحالات التكلمية.[٩٩]

القصدية:

القصد Intentionality – على حد تعبير دي بوجراند – "يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قُصِدَ بها أن تكون نصًّا يتمتع بالسَّبك والالتحام، وأنَّ مثل هذا النص وسيلة Instrument من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"[١٠٠]

يتضح من الكلام السابق لدي بوجراند أن القصدية لا تتحقق إلا بتحقق السبك والحبك [الالتحام]، وهما لا يتحققان إلا بتحقق العلاقات النحوية بشكلٍ صحيح متوافق مع المبادئ الحاكمة لورودها داخل النص؛ كالتقديم والتأخير، والحذف، والفصل.

والتعريف السابق للقصدية لا يبتعد كثيرًا عمًّا هو موجود لدى علماء العربية القدامى؛ إذ يرى عبد القاهر الجرجاني أن "معنى القصد إلى معاني الكلم أن تُعْلِمَ السامعَ بها شيئًا لا يعلمه."[١٠١]

---

(٩٩) انظر: البُعد التداولي عند سيبويه صـ ٢٦١ بتصرف

(١٠٠) النص والخطاب والإجراء - روبرت دي بوجراند – ترجمة: د. تمام حسَّان – عالم الكتب – ط ٢ – القاهرة ٢٠٠٧م: صـ ١٠٣

ولن يقف البحث طويلًا إزاء الجوانب النظرية الخاصة بالقصدية؛ إذ هناك بحثٌ تمَّ تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد حماسة[١٠٢]، وقد استوفى جميع الجوانب النظرية الخاصة بالقصد كأحد معايير النصية. لذلك سيحاول البحث التركيز على دور العلاقات النحوية في تشكيل قصدية منتج النص.

ولكن في البداية لا بد من الإقرار بأن علماء العربية القدامى كانوا على وعي تام بأهمية قصدية منتج النص وتقبلية المتلقي في خلق تداولية نصية صحيحة؛ إذ من الممكن أن "يجد الباحث عن الدراسات المتعلقة بالقصدية والتقبلية مادةً وفيرةً للبحث في مؤلفات الجاحظ؛ كالبيان والتبيين، والحيوان، وغيرهما"[١٠٣] كما اعتمد أيضًا الراغب الأصفهاني في تعريفه للبلاغة على قصدية منتج النص وتقبلية المتلقي؛ إذ جعلهما أحد الأوجه التي تُعرف بها البلاغة، يقول: "والبلاغة تُقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغًا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف صوابًا في موضوع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود به وصدقًا في نفسه، ومتى اخترم وصفٌ في ذلك كان ناقصًا في البلاغة. والثاني: أن يكون بليغًا

---

(١٠١) دلائل الإعجاز: صـ ٣٠٥

(١٠٢) القصد ودوره في تفسير النص [دراسة نحوية دلالية نصية] – إعداد/ صلاح الدين شعبان مطاوع عبد العاطي – رسالة دكتوراه – إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة – كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(١٠٣) مدخل إلى علم لغة النص – د. إلهام أبو غزالة و على خليل حمد – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢ – القاهرة ١٩٩٩م: صـ ٢٠

باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمـرًا؛ فـيردُّه عـلى وجـه حقيـق أن يقبلـه المقول له."[١٠٤]

كما ألمح ابنُ فارس أيضًا إلى أهمية القصـدية والتقبليـة في توضـيح الـنص؛ إذ يقـول في "باب مراتب الكلام في وُضوحه وإشكاله: أما واضح الكلام - فالذي يفهمه كلُّ سـامع عـرَف ظاهرَ كلام العرب؛ كقول القائل: شربت ماءً ولَقيت زيدًا. وكما جاء فِي كتاب الله جلَّ ثنـاؤه من قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيـرِ»[١٠٥] وكقـول النبـي صـلى الله تعـالى عَلَيْهِ وسلم: إِذَا اسْتَيْقَظَ أحدُكم من نومه؛ فلا يَغْمِسْ يدَه فِي الإناء حَتَّى يَغْسِلَها ثلاثًا."[١٠٦]

والنص السابق يكشف بوضوح عن أهمية العلاقات النحويـة في بنـاء تداوليـة موجبـة للـنص؛ إذ إن الالتـزام بالنظـام النحـوي القـائم عـلى تفـاعلات العلاقـات النحويـة أدَّى إلى الوضوح وعدم اللبس؛ لذلك قال ابن فارس بعد ذلك: "من العلوم الجليلة التي خصت بِهَـا العرب - الإعرابُ الَّذِي هو الفارق بين المعاني المتكافِئَة فِي اللفظ، وبـه يعـرف الخـبر الـذي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف مـن مَنْعـوت، ولا تَعَجُّـبٌ مـن استفهام، ولا صَدْر من مصدَر، ولا نعتٌ من تأكيد."[١٠٧]

---

(١٠٤) مفردات غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – بدون دار نشـر أو مطبعة – د.ط/ د.ت – القاهرة : صـ ٦١

(١٠٥) المائدة جزء من الآية ٣

(١٠٦) الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – تحقيق مصطفى الشويمي – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – د.ط – بيروت ١٩٦٣م: صـ ٧٤

(١٠٧) السابق صـ ٧٤ - ٧٥

ومن ثمَّ فإن العلاقات النحوية التي هي سبب رئيسي لظهور العلامات الإعرابية خاصة في الجملـة تسـهم بشـكل واضـح في بنـاء قصـدية منـتج الـنص، وقـد تنبَّـه إلى ذلـك عبد القاهر الجرجاني؛ إذ يقول في أثناء تحليله لبيت بشار بن برد:

كـأن مثـار النقـع فـوق رءوسـنا وأسـيافنا ليـلٌ تهـاوَى كواكِبُـه[١٠٨]

"انظر هل يُتصوَّرُ أن يكون بشارٌ قد أخطرَ معاني هذا الكلم بباله أفرادًا عاريةً من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكونَ قد وقَع [كأنَّ]: في نفسه من غيرِ أن يكونَ قَصَدَ إيقاعَ التشبيه منه على شيء وأنْ يكونَ فكَّر في [مُثار النقع] من غير أن يكونَ أراد إضافةَ الأول إلى الثاني وفكَّر في [فوق رؤوسنا] من غير أن يكون قد أرادَ أن يضيفَ [فوق] إلى الرؤوس وفي الأسيافِ من دون أنِ يكونَ أرادَ عطفَها بالواو على [مثار]، وفي الواو من دونِ أنِ يكونَ أرادَ العطف بها، وأن يكون ذلك فكَّر في [اللَّيل] مِنْ دونِ أن يكونَ أرادَ أن يجعلَه خبرًا لكأن وفي [تَهَاوَى كواكِبُه] من دون أن يكون أرادَ أن يجعلَ تهاوى فعلًا للكواكب ثم يجعل الجملةَ صفةً لليل؛ ليتمَّ الذي أراد من التشبيه أم لم تخْطُرْ هذه الأشياءُ ببالهِ إلَّا مُرادًا فيه هذه الأحكامُ والمعاني التي تراها فيها. وليت شعري كيف يتصورُ وقوعُ قَصْدٍ منك إلى معنى كلمةٍ من دُونِ أنِ تريدَ تعليقَها بمعنى كلمة أخرى."[١٠٩]

فما فوق الخط في النص السابق يدلُّ دلالةً واضحة على الوعي المبكِّر لدى الجرجاني بأهمية العلاقات النحوية في تشكيل القصدية لدى [المتكلم] منتج النص. فغياب العلاقات

---

(١٠٨) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني – تحقيق: سمير جابر - دار الفكر – ط٢ – د.ت – بيروت: جـ٣/ ٢٣٤

(١٠٩) دلائل الإعجاز صـ٣٠٤ - ٣٠٥

النحوية يحوِّل الجملة إلى أصوات غير مفهومة تنعكس بالسلب على تداولية النص؛ لذلك يقول الجرجاني: "معلومٌ أنَّك أيها المتكلمُ لستَ تقصدُ أن تُعلمَ السامعَ معاني الكلم المفردةِ التي تكلمه بها؛ فلا تقول: خَرَجَ زيدٌ؛ لتعلِمَه معنى [خَرَجَ] في اللغة ومعنى [زيدٍ] كيفَ ومحالٌ أن تكلِّمَه بألفاظٍ لا يعرفُ هو معانيها كما تعرف، ولهذا لم يكن الفعلُ وحدَه من دون الاسم ولا الاسمُ وحدَه من دون اسمٍ آخرَ أو فعلٍ كلامًا. وكنتَ لو قلتَ: [خرج]، ولم تأتِ باسمٍ ولا قدَّرْتَ فيه ضميرَ الشيء أو قلتَ: زيد ولم تأتِ بفعل ولا اسم آخر ولم تُضْمِرْه في نفسك كان ذلك وصوتًا تُصوِّتُه سَواء فاعرفْه."[١١٠]

وقد أكَّد ذلك أيضًا أبو حيَّان التوحيدي؛ إذ رأى أنَّ "صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنَّا نتكلَّم بالعربية"[١١١] والنظم عند التوحيدي ما هو إلا النظم النحوي الذي تشكِّله العلاقات النحوية المختلفة على مستوى النص، وقد حدد أبو حيان ذلك على لسان محدِّثه أبي سعيد؛ إذ يقول: "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخِّي الصواب في ذلك، وتجنُّب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيءٌ عن

---

(١١٠) السابق صـ ٣٠٥

(١١١) الإمتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي – تقديم أحمد أمين – سلسلة الأنيس – موفم للنشر – د.ط – الجزائر ١٩٨٩م: جـ١/ ١٥٤

هذا النعت؛ فإنه لا يخلو من أن يكون سائغًا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردودًا؛ لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم."[١١٢]

ومن ثَمَّ فغياب العلاقات النحوية يؤدي إلى اللبس والغموض لدى متلقي النص؛ لذلك أشار الدكتور تمام حسَّان إلى أن غياب القصدية يولِّد تداوليةً صفريةً لا تحقق أي هدف؛ إذ يقول: "وأول ما يسبب غموض الدِّلالة واللبس في فهمها أن يكون صاحب النص ومنشئه غير فاهم ما يقوله فهمًا تامًّا، وهذا أمرٌ طبيعي جدًّا؛ إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه"[١١٣] وهو ما أكَّده دي بوجراند؛ إذ رأى أن النص يؤدي الغرض منه "بواسطة تنشيط المفاهيم والعلاقات التي يُشار إليها بالعبارات."[١١٤]

ويجدر بالذكر أيضًا أنَّ الدكتور محمد حماسة قد التفت إلى فاعلية العلاقات النحوية في تشكيل قصدية منتج النص، وخاصةً الشعراء؛ إذ يقول: "إن القصيدة بناءٌ فني يحمل من الإشارات الكثير، ولكن الدليل الذي لا دليل سواه على كلِّ ما يريد الشاعر من قصيدته هو ما يقوله فعلًا في القصيدة. وما يقوله هو الكلام المحكوم بعلاقات نحوية معينة أنتجت هذه الدلالات المكثفة."[١١٥]

---

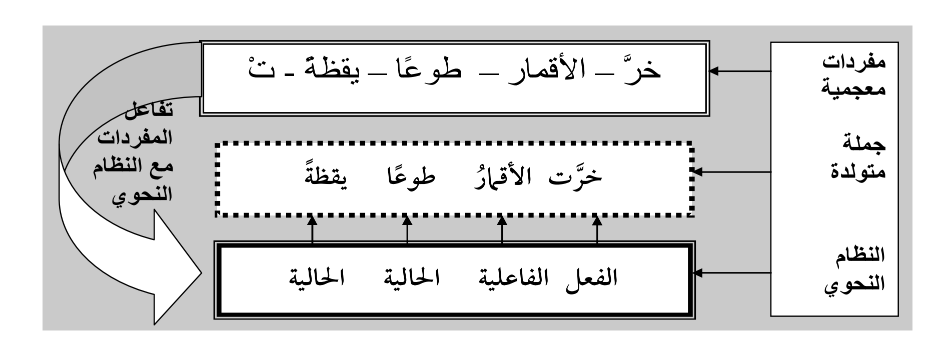
(١١٢) السابق جـ١/ ١٦٤

(١١٣) أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية – د. تمام حسان – مجلة كلية دار العلوم - ع١ – جامعة القاهرة: صـ ١٣٦

(١١٤) النص والخطاب والإجراء صـ ٢٠١

(١١٥) اللغة وبناء الشعر – د. محمد حماسة عبد اللطيف – مكتبة الزهراء – ط ١ – القاهرة ١٩٩٢م: صـ ٢٨

فالعلاقات النحوية تسهم في تشكيل قصدية منتج النص من خلال المزج والتفاعل بين المعاني النحوية، والمفردات المتضمنة الدلالة المعجمية الأولية؛ فالمعاني النحوية التي هي جزءٌ أصيل من العلاقات النحوية - تكون مطروحةً في الذاكرة يعرفها جميع منتجي النصوص؛ شعراء كانوا أو كتابًا، وكذلك أيضًا المفردات المعجمية، وإنما عمود الأمر الذي ينماز به شاعرٌ عن كاتب أو كاتبٌ عن شاعر - يتمثل في إمكانية التوليف المؤدي إلى التفاعل بين المعاني النحوية، والمفردات أو الكلمات المتضمنة الدلالة المعجمية الأولية، كما هو موضح بالشكل الآتي:



وعملية التفاعل - كما في الشكل السابق - تكون مستقرةً في ذهن منتج النص؛ لتعبِّر عن قصديته تجاه موضوع أو قضية معينة.

وعبقرية منتج النص شاعرًا كان أو ناثرًا إنما تكمن في التوظيف الجيد للعلاقات النحوية داخل النص، وذلك مع مراعاة الاختيار الدقيق من بين جداول المفردات المخزنة في الذاكرة، والتي تمثل الحصيلة اللغوية لمنتج النص؛ إذ إن كل "كلمة تنتظم رأسيًا في عقل ابن اللغة في حقل معجمي أمَّا بعد نظم الجملة؛ فقد يتجرَّد المعنى المعجمي لكل كلمة

ويتخصص وتدبُّ فيه الحياة؛ بسبب انضمامه إلى غيره من المعاني وفق نظام مقبول اتفقت عليه الجماعة اللغوية."[(١١٦)]

ومن خلال هاته العمليات السابقة يتشكل أسلوب منتج النص، وهو ما يجعل إنتاج شاعر ينماز عن إنتاج شاعر آخر؛ لذلك حصر بلاكمور – في أثناء تحليله لشعر ولاس سيفنز، وإيملي ديكنسون – عبقرية الإبداع "في الكلمات التي يستعملها، وفي الطريقة التي يضع فيها الكلمات.[(١١٧)]

لذلك أكَّد الدكتور محمد حماسة أن "بناء الجملة هو الذي يكشف عبقرية الشاعر ويظهر تفرُّده وامتيازه. إنَّ الشاعر الفرد عليه أن يشقَّ طريقه المتميز من خلال كم المفردات الهائل الذي استخدمه قبله مئات الشعراء، ومن خلال الأنظمة النحوية المحدودة، وعليه أن يختار بينهما ما يجعله فريدًا متميزًا، ويعطيه تأشيرة الرحلة عبر العصور والأجيال."[(١١٨)]

وبناءً على ما سبق؛ فقد تأكَّد للبحث من خلال التحليل النصي أن القصدية لا يمكن أن تنفصل بأيِّ حال من الأحوال عن التداولية[(١١٩)]، وهذا ما دعا أوستن إلى مخالفة الفلاسفة

---

(١١٦) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية – د. مصطفى حميدة - الشركة العالمية للنشر [لونجمان] – د.ط - القاهرة ١٩٩٧م: صـ ١١١

(١١٧) انظر: النحو والدلالة صـ ٢١٦ – ٢١٧ نقلًا عن [النقد الأدبي ومدارسه الحديثة] – ستانلي هايمن – ترجمة: د. إحسان عباس، ود. محمد يوسف نجم – دار الثقافة – ط ٣ – بيروت ١٩٧٨م.

(١١٨) النحو والدلالة – د. محمد حماسة عبد اللطيف – دار غريب للطباعة والنشر – د.ط – القاهرة ٢٠٠٦م: صـ ٢١٧

(١١٩) لذلك هناك مَنْ عرَّف التداولية بأنها فرع اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلِّم Speaker intentions، أو هو دراسة معنى المتكلِّم Speaker meaning ؛ فقول القائل: أنا عطشان مثلًا قد يعني: أحضر لي كوبًا

الكلاســيكيين وموافقــة أســلافه مــن فلاســفة التحليــل في إدخــال "مفهــوم القصــدية Intentionnalite في فهم كلام المتكلِّم، وفي تحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخـذه مـن الفيلسوف هوسرل Husserl والظاهراتيين، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية."[١٢٠]

ومن ثم فإن التداولية بفروعها المتنوعة تُلزم منتج النص بمراعاة بعض الضوابط؛ حتـى تتكون قصدية سليمة تعقبها تداولية موجبة تؤدي إلى نجاح العملية التواصلية، ومن قديم أثار ابن هشام مثل هاته المسألة؛ إذ أشار إلى ضرورة مراعـاة منـتج النص/المـتكلِّم للأصـول وسلوكه الكلامي؛ إذ ذكر عشر جهات قد يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها[١٢١].

من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارًا بأنه عطشان؛ فالمتكلِّم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته." [انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر صـ١٣]

(١٢٠) التداولية عند العلماء العرب صـ ١٠

(١٢١) انظر: مغني اللبيب ٦٨٤ - ٧٨٢

التقبلية:

كما تُعَدُّ التقبلية أيضًا أحد المعايير المهمة في بناء الهيكل التداولي للنص، وتكون على اتصال دائم بقصدية منتج النص؛ إذ إن عملية التواصل في أساسها مبنيةٌ على تبادل الكلام بين الأطراف المتخاطبة "والذي يقوم على الالتجاء إلى معجم نفهمه ويفهمه المتحدث الذي أمامنا وإلا انعدم الاتصال والتواصل بيننا"(١٢٢) "وفي جميع الأحوال يقوم مستقبل النص بمقابلة عالم النص بما لديه من خبرات معرفية سابقة معتمدًا في ذلك على أسلوب مزاوجة الأنماط، وهو يفضل الأنماط الأعم في عملية المزاوجة على سواها في أغلب الحالات."(١٢٣)

وقد تنبَّه ابن جنِّي قديمًا إلى عملية التفاعل التي تتم بين النص وذاكرة المتلقي، والتي تعتمد في الأساس على التداعي والاختيار من المعنيين النحوي والمعجمي؛ إذ يقول: "ألا تراك حين تسمع ضَرَب قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنتظر فيما بعد فتقول: هذا فِعل ولا بدَّ له من فاعل؛ فليت شعري مَنْ هو وما هو؛ فتبحث حينئذٍ إلى أن تعلم الفاعل مَنْ هو وما حاله مِن موضع آخر لا من مسموع ضرب، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كلُّ مذكَّر يصحُّ منه الفعل مجملًا غير مفصَّل. فقولك: ضرب زيد، وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شَرَع سواء وليس لضرب بأحد الفاعلين هؤلاء (ولا) غيرهم خصوص

---

(١٢٢) أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر – حسن مصدق – مجلة الفكر العربي ع ٢٥ – مركز الإنماء القومي – بيروت/لبنان ٢٠٠٥م: صـ ١٠٧

(١٢٣) مدخل إلى علم لغة النص صـ ١٣

ليس له بصاحبه كما يخصُّ بالضرب دون غيره من الأحداث وبالماضي دون غيره من الأبنية."[124]

فالنص السابق يدل على التفاعل بين النص وعقل المتلقي؛ لذلك يكون للمتلقي مع النص حالات متطورة بعدد مرات تلقي النص؛ "لأن مباشرة المتلقي للنص للمرة الأولى تختلف عن معاودته لقراءة النص للمرة الثانية؛ إذ تتكشَّف له أشياء ودلالات جديدة في فضاء النص لم تتبدَ له في المرة الأولى. وكذلك الأمر يكون له شأنٌ ثالث عند اختزانه للنص في الذاكرة، وله شأنٌ رابع عند تشرُّبه للنص وتفاعله معه، ويظهر ذلك من خلال حديث المتلقي عن النص؛ إذ في كل مرة يصير النص نصًّا جديدًا.[125]

ومن ثم فخضوع عالم النص بما يرتكز فيه من علاقات مختلفة – لما هو مخزون في ذاكرة متلقي النص يؤدي إلى اختلاف نموذج عالم النص من شخص إلى آخر، "ويعود ذلك إلى عوامل منها الاستنتاج والتحديث [أي تغيير في عالم النص بخصوص ما هو صحيح عند كلِّ لحظة زمنية بحسب تأثير الحوادث في الموقف] وعدم التماثل، وتوسيع الاستثارة [يقع توسيع الاستثارة حين تمسّ المادة التي يستثيرها النص مادةً أخرى ذات صلة مختزنة في أذهان مستعملي النص]. ويتصف نموذج عالم النص بأنه نموذج احتمالي الطابع؛ وذلك لأن

---

(١٢٤) الخصائص جـ٣/ ٩٨ - ٩٩

(١٢٥) انظر: قضية البنيوية [دراسة ونماذج] – عبد السلام المسدي صـ ٥٢ بتصرف. ويجدر بالذكر أيضًا أن "قراءة النص من أجل إعادة إنتاجه؛ فيشمل العرض والقراءة؛ أي العرض الكاشف، إما بالرجوع إلى بنية النص ذاته وتركيبه من حيث فن التأليف، وصنعة الكاتب، وهذه هي المراجعة الشكلية. أو بإرجاعه إلى الموضوع ذاته؛ من أجل دراسته من حيث هو علم، وهذه هي المراجعة الموضوعية." [قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد – حسن حنفي – مجلة فصول – مج٩ – ع ٣، ٤؛ - فبراير ١٩٩١م: صـ ٢٢٧].

الاتصال البشري يعتمد في العادة على وقائع احتمالية ويتم التغلب على اللا يقينية باللجوء إلى مختلف الأدلة المتيسرة."(١٢٦)

وقد لاحظ البحث أن لذة النص تتحقق لدى المتلقي عندما يخرج بعد قراءة النص بحالة نفسية مختلفة عمًّا كان عليه قبل قراءة النص، ويؤدي إلى تولُّد هاته اللذة النصية عدة أمور هي – من وجهة نظر البحث:

- تنظيم العلاقات اللفظية على مستوى سطح النص.
- تنظيم العلاقات الدلالية على مستوى عالم النص.
- أثر المعنى التبعي [معنى المعنى] على المتلقي وعلى إعلامية النص.
- انتظام مستوى العلاقات الإيقاعية أو الصوتية داخل أجزاء/ وحدات/ كتل النص.

لذلك فخلال "عملية تلقي الرسالة الجمالية تتشكَّل لدى المتلقي شفرة خاصة، مضافة إلى الشفرات اللغوية والثقافية التي ما زالت حية عند بثِّ الرسالة، تعتمد على الموروث المستقر في الوعي من ناحية، وتهدف إلى توسيع مداه بابتكار أنماط جديدة من البيانات الجمالية المستحدثة من ناحية أخرى."(١٢٧)

ولا بد من توافق القصدية مع التقبلية، وإلا كانت التداولية سالبة تجعل منتج النص في واد والمتلقي في واد آخر، ويوضح ذلك ما رواه الجاحظ؛ إذ يقول: "أتيتُ منزل صديقٍ

---

(١٢٦) مدخل إلى علم لغة النص صـ ١٣

(١٢٧) نبرات الخطاب الشعري – د. صلاح فضل – طبعة مكتبة الأسرة – القاهرة ٢٠٠٤م: صـ ٢٣

لي؛ فطرقتُ الباب؛ فخرجت إليَّ جارية سندية؛ فقلتُ لها: قولي لسيدك: الجاحظ بالباب. فقالت: أقول الجاحد بالباب. قلتُ: لا بل قولي الحدقي في الباب. فقالت: الحلقي في الباب؛ فقلتُ لها: لا تقولي شيئًا وانصرفتُ."(١٢٨)

ويجدر بالذكر أيضًا أن البلاغيين القدامى التفتوا إلى أهمية مراعاة المخَاطَب في أثناء عملية بناء النص، وقد ذكر ابن رشيق القيرواني عدة نماذج تدل على درجات الوعي بالمخاطب في أثناء عملية بناء النص، ومن ذلك أن جريرًا الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان؛ فابتدأ ينشده : [أتصحو أم فؤادك غير صاحٍ...] فقال له عبد الملك: بل فؤادك أنت يابن الفاعلة، وكأن عبد الملك استثقل هذه المواجهة(١٢٩).

كما نبَّه المبرِّد أيضًا إلى ضرورة مراعاة منتج النص لتقبلية المتلقي؛ إذ يقول: "إنما كُرِه زيدٌ قام زيدٌ؛ لئلا يُتوهم أنَّ الثاني خلاف الأول، وهذا لا يُتوهَّم في الأجناس"(١٣٠)؛ لذا "يتوجَّب على منتجي النص أن تتوفر لديهم القدرة على توقُّع استجابات المستقبلين؛ من حيث دعمها أو معارضتها للخطة كأن يقوموا ببناء نموذج داخلي للمستقبلين ومعتقداتهم، ومعرفتهم."(١٣١)

---

(١٢٨) نقلًا عن كتاب [مدخل إلى علم لغة النص] صـ ٣٢

(١٢٩) انظر: العمدة في محاسن الشعر جـ١/ ٢١٨ - ٢١٩

(١٣٠) النكت في تفسير كتاب سيبويه – الأعلم الشنتمري [أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى] – تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان – معهد المخطوطات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – ط ١ – الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: جـ ١/ ١٩٩

(١٣١) مدخل إلى علم لغة النص صـ ١٧٨

وعند حدوث عدم توافق بين قصدية منتج النص، وتقبلية متلقيه تتولَّد تداولية سالبة؛ لا يمكن معه أن تؤدي الرسالة اللغوية الدور المنوط بها؛ إذ النص – على حدِّ تعبير يوري لوتمان – "يقوم بوظيفة حامل الرسالة"[١٣٢] ويتضح ذلك بالخبر الذي رواه الجاحظ في البيان والتبيين؛ إذ يقول: "قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صولجان عائدًا الى مكة؛ فلقيه رجلٌ؛ فقال له: يا عبد الله كيف تركتَ الأرض. قال: عريضة أريضة. قال: إنما عنيتُ السماء. قال: فوق البشر، ومدى البصر. قال: سبحان الله إنما أردتُ السَّحاب. قال: تحت الخضراء، وفوق الغبراء. قال: إنما أعني المطر. قال: قد عفا الأثر وملأ القتر، وبَلَّ الوتر، ومطرنا أحيا المطر. قال: إنسي انت أم جني. قال: بل إنسي من أمة رجل مهدي."[١٣٣]

فمنتج النص [المتكلِّم] كان يُغيِّر دلالة السؤال في كلِّ مرة؛ ليربطه بسياق جديد، وكان صعصعة بن صولجان يتكيف مع السؤال الجديد بما لا يتفق مع قصدية منتج النص؛ لذلك لم تتوافق القصدية مع التقبلية، وهو ما أدَّى في النهاية إلى تولُّد تداولية صفرية أسفرت عن فشل الرسالة اللغوية.

ومن ثم فلا بد من تضفير قصدية منتج النص بتقبلية المتلقي؛ إذ إن ذلك يؤثِّر على البنية النصية أو بالأحرى توظف البنية النصية توظيفًا تداوليًّا يسمح بإحداث تأثير معيَّن؛ لذلك ينبغي "للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطيَّر به أو يُستجفى من

(١٣٢) بنية النص السردي – يوري لوتمان – ترجمة: عبد النبي اصطيف – مجلة فصول – مج ١١ – ع ٤ – شتاء ١٩٩٣م [زمن الرواية] الجزء الأول صـ ٥٧

(١٣٣) البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر [الجاحظ] - تحقيق: المحامي فوزي عطوي - دار صعب - ط ١ - بيروت ١٩٦٨م: صـ ٦٠٦ - ٦٠٧

الكلام والمُخاطبات؛ كذكر البُكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتُّت الآلاف، ونعي الشباب، وذم الزمان لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح أو التهاني، ولا تُستعمل هذه المعاني في المراثي، ووصف الخطب الحادثة. فإن الكلام إذا كان مؤسسًا على هذا المثال تطيَّر منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح فيجتنب، مثل ابتداء قول الأعشى:

مـــا بكـــاء الكبـــير بـــالأطلال وســـؤالى وهـــل تـــرد ســـؤالى
دمنـــة قفـــرة تعاورهـــا الصيـــــف بـريحين مـن صبًا وشمال

... وأنشد البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري قصيدته التي أولها:

لـك الويـلُ مـن ليـلٍ تطـاول آخـره ووشـك نـوى حـي تـزم أبـاعره

فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب... فإن أرطأة بن سهية الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان؛ فقال له: ما بقي من شعرك؟ فقال: ما أطرب ولا أحزن يا أمير المؤمنين، وإنما يُقال الشعر لأحدهما. ولكني قد قلت:

رأيـــتُ الـــدهرَ يأكـــل كـــل حـــي كأكـــل الأرض ســـاقطة الحديـــد
ومـــا تبغـــي المنيـــة حـــين تغـــدو ســـوى نفـس ابـن آدم مـن مزيـد
وأَحْسَـــبُ أنهـــا ســـتكر يومًـــا تُـــوفِي نـــذرها بـــأبي الوليـــد

فقال له عبد الملك: ما تقول ثكلتك أمك؟ فقال: أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين. وكان عبد الملك يُكْنَى أبا الوليد أيضًا، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات."[١٣٤]

يتأكَّد مما سبق ضرورة توافق القصدية مع التقبلية، ولا يتم ذلك إلا بمراعاة منتج النص لتقبلية المتلقي؛ لذلك ينبِّه ابن طباطبا العلوي أنه "ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليفَ شعره، وتنسيق أبياته، ويقِف على حُسْن تجاورها أو قُبحه؛ فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلًا من حشو ليس من جنس ما هو فيه؛ فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كلِّ بيت، فلا يباعد كلمة من أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كلَّ مصراع، هل يشاكل ما قبله؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر؛ فلا يتنبه على ذلك إلا من دَقَّ نظره ولطف فهمه. وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له؛ فيسمعون على جهة ويؤدونه على غيرها سهوًا، ولايتذكرون حقيقة ما سمعوه منه، كقول أمرئ القيس:

كأني لم أركب جوادًا للذةٍ ... ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي: كري كرةً بعد إجفال

(١٣٤) عيار الشعر – محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي – تحقيق: محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – ط٣ – د.ت – الإسكندرية، مصر : صـ ١٦٢ - ١٦٣

هكذا الرواية وهما بيتان حسنان، ولو وضع مصراع كلٍّ واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروي:

كـــأني لم أركـــب جـــوادًا ولم أقـــل   لخـــيلي كـــري كـــرة بعـــد إجفـــال
ولم أســـــبأ الـــــزق الـــــروي للـــــذة   ولم وأتـبطن كاعبًـا ذات خلخـال" [١٣٥]

ومما يجدر التنبيه إليه أنه من أجل تلاشي القصدية الصفرية التي تجعل النص في وادٍ ومقصد منتج النص في وادٍ آخر – وضع جرايس [مبدأ التعاون] Principle co operative الذي يضع منتج النص ومتلقيه على خطٍّ واحد؛ إذ إنه مبدأ حواري يشتمل أربعة مبادئ Maxims فرعية، هي[١٣٦]:

١- مبدأ الكم Quantity: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

٢- مبدأ الكيف Quality: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليلٌ عليه.

٣- مبدأ المناسبة Principle: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

٤- مبدأ الطريقة principle manner: كن واضحًا ومحددًا؛ فتجنَّب الغموض وتجنَّب اللبس ambiguity وأوجز ورتِّب كلامك.

---

(١٣٥) السابق صـ ١٦٤

(١٣٦) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر صـ ٣٤ - ٣٥

فهاته المبادئ من شأنها أن تُنجح العملية التداولية للنص؛ من خلال نجاح القصدية الخاصة بمنتج النص، والتقبلية الخاصة بالمتلقي.

ويمكن أن يُلاحَظ تحقُّق المبادئ السابقة من خلال المثال الآتي:

- الأب: أين محمد؟
- الأم: في المدرسة.

فيُلاحَظ تحقُّق مبدأ التعاون، والمبادئ التي يشتمل عليها؛ إذ أجابت الأم إجابةً واضحةً [الطريقة]، وكانت صادقة [الكيف]، وعبَّرت عمَّا تقول بكلمات قليلة دون تزيُّد [الكم]، وهو ما يجعل منتج النص والمتلقي على خط واحد؛ مما يسهم في إعلاء تداولية النص.

ولو أنَّ الزوجة أجابت عن سؤال زوجها قائلة:

- في الثلاجة.

لأدَّى ذلك إلى تحقُّق تقبلية صفرية لعدم تناسب وتناغم قصدية المتكلِّم مع تقبلية المخاطب. لذلك اهتم نحاة العربية برصد العديد من المقاصد النحوية؛ لفظية ومعنوية الخاصة بالتراكيب؛ وذلك كالآتي[١٣٧]:

(١٣٧) انظر: في المقاصد العامة للنحو العربي نظرًا وتطبيقًا – د. مصطفى أحمد عبد العليم – كتاب المؤتمر الثاني للعربية والدراسات النحوية [العربية وقرن من الدرس النحوي] – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٧، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٣هـ/ ١٨، ١٩ فبراير ٢٠٠٣م: صـ ٨٢٤ – ٨٤١.

١- **المقاصد المعنوية:** ويندرجُ تحتها كلام النحاة حول [الإفادة – أمن اللبس – الإيضاح – التخصيص]؛ فيُلاحَظ أنَّ نحاة العربية جعلوا من [الإيضاح والتبيين] مقصدًا لعديد من الأبواب النحوية، مثل: النعت، والإضافة، والحال، والتمييز، والبدل، وعطف البيان، وعدد من حروف الجر؛ إذ يقول ابن مالك عن التمييز:

"اسم بمعنى من مبيِّن نكرة ... ينصب تمييزًا بما قد فسره."(١٣٨) وقد يتم إسباغ القصدية بمعنى التخصيص؛ نتيجة وجود بعض العناصر التركيبية، كالآتي:

- المجيء بضمير الفصل، مثل قوله تعالى: «وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٣٩) "هم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة، ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه."(١٤٠)
- المجيء بالنعت يقول ابن هشام: "النَّعْتُ وَهُوَ تَابِعٌ مُشْتَقٌّ أوْ مُؤوَّلٌ بِهِ يُفِيدُ تَخْصِيصَ مَتْبُوعِهِ."(١٤١)
- الإضافة: مثل: كتاب محمد.

---

(١٣٨) شرح ابن عقيل - بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر – ط٢ – دمشق ١٩٨٥م: جـ ٢/ ٢٨٦.

(١٣٩) البقرة جزء من الآية ٥

(١٤٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التراث العربي – د.ط/ د.ت – بيروت : جـ١/ ٣٤

(١٤١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - ابن هشام - تحقيق: عبدالغني الدقر - الشركة المتحدة للتوزيع – ط١ – دمشق ١٩٨٤ م: صـ ٥٥٥

- لام الجر: المال لزيد؛ أي يختص به.
- الظرف: مثل: صِيم زمنٌ طويل.
- المصدر النائب عن الفاعل: ضُرب ضربٌ شديد.
- التقـــديم: كتقـــديم الخـــبر، مثـــل قولـــه تعـــالى: «لله ملـــك السماوات والأرض».[١٤٢]
- مجـــيء المبتـــدأ نكـــرة: مثـــل قولـــه تعـــالى: «وَأَجَـــلٌ مُّسَـــمًّى عِندَهُ».[١٤٣]

وفضلًا عن ذلك فهناك بعض المقاصد الأخرى التي قد تدلّ عليها بعض التراكيب داخل النص كالتوكيد؛ إذ يُعـدُّ مـن أهـم المقاصـد المعنويـة التـي تـنتظم كثـيرًا مـن الموضـوعات النحوية، وهناك دلائل كثيرة تدل عليه داخل النص، مثل:

- التوكيد الوظيفي.

(١٤٢) الشورى جزء من الآية ٤٩

(١٤٣) الأنعام جزء من الآية ٢

- الصفة: يقول عبد القاهر الجرجاني: "وأنَّ من الصفةِ صفةً لا يكونُ فيها تخصيصٌ ولا توضيحٌ، ولكن يُؤتى بها مؤكَّدة كقولهم: أمسِ الدَّابُر. وكقوله تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصور نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» [(١٤٤)] "[(١٤٥)]

- المفعول المطلق.

- القسم.

- عددٌ من الأدوات والحروف، مثل: [إن – أن] – لام الابتداء – أحرف التنبيه – نون التوكيد – الحروف الزائدة [من – الباء – الكاف] – أما الشرطية ضمير الفصل – التقديم.

٢- المقاصد اللفظية: ويتمثل ذلك في [الاختصار]؛ إذ يُعَدُّ من المقاصد اللفظية المستمدة من التنظيم التركيبي للعلاقات النحوية وما يتعلَّق بطرفيها من مكملات إسنادية. ومما يساعد على إضفاء الاختصار على قصدية منتج النص الآتي:

- الإحالة الضميرية؛ إذ تؤدي إلى اختزال البنية التركيبية للنص من خلال تضافر العناصر الإحالية بمراجعها [العناصر الإشارية] كما سبق بيانه في الفصل الثالث.

---

(١٤٤) الحاقة ١٣

(١٤٥) دلائل الإعجاز صـ ٤٤

- الحروف الدالة على المعاني: يقول ابن جني: "اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف، وأَنَّ أعدل أحوالها أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة؛ فأما وجه القياس في امتناع حذفها؛ فمن قبل أن الغرض في الحروف إنما هو الاختصار ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد؛ فقد نابت ما عن أنفي. وإذا قلت: هل قام زيد؛ فقد نابت هل عن أستفهم فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفًا لأفرطت في الإيجاز؛ لأن اختصار المختصر إجحاف به."(١٤٦)

- الحذف: مثل حذف أحد طرفي المركب الإسنادي؛ المسند أو المسند إليه أو حذف أحد المكملات المتعلقة بأحدهما. كما سبق بيانه في الفصل الثالث من البحث.

مما سبق يتأكَّدُ للبحث أهمية العلاقات النحوية في بناء الهيكل التداولي للنص؛ إذ النص ما هو إلا مجموعة من الجمل تؤدي معنًى خاصًّا يعتمدُ على القصدية من جانب منتج النص، ويحاول متلقي النص أن يفكَّ شفرة النص، ومن ثم تتحدد تقبلية النص.



(١٤٦) سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: د. حسن هنداوي - دار القلم – ط١ – دمشق ١٩٨٥ م: جـ١/ ٢٦٩

ثبت المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – د. محمود أحمد نحلة – مكتبة الآداب – ط١ – القاهرة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التراث العربي – د.ط/ د.ت – بيروت

٣. أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر – حسن مصدق – مجلة الفكر العربي ع ٢٥ – مركز الإنماء القومي – بيروت/لبنان ٢٠٠٥م

٤. الأسلوب [دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية] – أحمد الشايب – دار النهضة المصرية – ط٦– القاهرة ١٩٦٦م

٥. الأصول – د/ تمام حسَّان – عالم الكتب – د.ط – القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

٦. الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي - تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة – ط٣ – بيروت ١٩٨٨م

٧. الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني – تحقيق: سمير جابر - دار الفكر – ط٢ – د.ت – بيروت

٨. الإمتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي – تقديم أحمد أمين – سلسلة الأنيس – موفم للنشر – د.ط – الجزائر ١٩٨٩م

٩. امتداد المكون النحوي وتأثيره في تحديد الموقع – د. طه محمد عوض الله الجندي – مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

١٠. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية – د. تمام حسان - مجلة كلية دار العلوم – ع ١ – جامعة القاهرة ١٩٦٨ / ١٩٦٩م

١١. الإيضاح العضدي – أبو علي الفارسي – تحقيق حسن شاذلي فرهود - - دار التـأليف – ط١ – القاهرة ١٩٦٩م

١٢. البرهان في علوم القرآن - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشـي أبـو عبـد الله – تحقيـق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة – د.ط - بيروت، ١٣٩١هـ

١٣. بنية النص السردي – يوري لوتمان – ترجمة: عبد النبي اصطيف – مجلة فصول – مـج ١١ – ع ٤ – شتاء ١٩٩٣م

١٤. البنيوية وما بعدها - جـون سـتروك - ترجمـة د. محمـد عصـفور - عـالم المعرفـة - ع ٢٠٦ - الكويت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

١٥. البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر [الجاحظ] - تحقيق: المحامي فوزي عطـوي - دار صعب - ط ١ - بيروت ١٩٦٨م

١٦. تحليل النص الشعري [بنية القصيدة] – يوري لوتمان – ترجمة د/ محمد فتـوح أحمـد – دار المعارف – د.ط/ د.ت – القاهرة

١٧. التداولية عند العلماء العرب [دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العـربي] – د. مسعود الصحراوي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ط١ – بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م

١٨. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – ابن مالـك – تحقيـق محمـد كامـل بركـات – دار الكتـاب العربي للطباعة والنشر – د.ط – القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

١٩. تفسير البحر المحيط - محمد بن يوسف المشهور بـأبي حيـان الأندلسي – تحقيـق الشـيخ/ عـادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النـوقي، ود. أحمد النجولي الجمل– دار الكتب العلمية – ط ١ – لبنان، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١

٢٠. التفكير اللغوي بين الجديد والقديم – د. كمال بشر – دار غريب – ط ١ – القاهرة ٢٠٠٥م

٢١. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – ط١ – القاهرة ١٩٦٥م

٢٢. الخصائص - أبو الفتح عثمان ابن جني – تحقيق/ محمد علي النجار – عالم الكتب – د.ط/ د.ت – بيروت

٢٣. الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض "بحث في المنهجو شكلية" – يوسف أوغليسي – إصدارات رابطة الإبداع الثقافية – د.ط – الجزائر ٢٠٠٠م

٢٤. دراسة الأدب العربي – د. مصطفى ناصف – الدار القومية للطباعة والنشر – د.ط/ د.ت – القاهرة

٢٥. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي – د. أحمد المتوكل – بدون دار نشر - د.ط – الرباط ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٢٦. دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - تحقيق: د. محمد التنجي- دار الكتاب العربي – ط١ – بيروت ١٩٩٥م

٢٧. ديوان ابن الفارض - ابن الفارض [أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ت ٦٣٢هـ] -تحقيق ودراسة د/ عبد الخالق محمود – مكتبة الآداب – ط٣ - القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

٢٨. زمن النص – د. جمال الدين الخضور – دار الحصاد للنشر والتوزيع – ط١ – سورية، دمشق ١٩٩٥م

٢٩. سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: د. حسن هنداوي - دار القلم – ط١ – دمشق ١٩٨٥م

٣٠. شرح ابن عقيل - بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر – ط٢ – دمشق ١٩٨٥م

٣١. شرح ديوان ابن الفارض - غالب [رشيد بن غالب] - دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي - د.ت/ د.ط – القاهرة

٣٢. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - ابن هشام - تحقيق: عبدالغني الدقر - الشركة المتحدة للتوزيع – ط١ – دمشق ١٩٨٤ م

٣٣. شرح المفصل – ابن يعيش – عالم الكتب – د.ط/ د.ت – بيروت

٣٤. الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – تحقيق مصطفى الشويمي – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – د.ط – بيروت ١٩٦٣م

٣٥. علم اللغة بين التراث والمعاصرة – عاطف مدكور – دار الثقافة – د.ط – القاهرة ١٩٨٧م

٣٦. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – د. صبحي إبراهيم الفقي – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – ط ١ – القاهرة ٢٠٠٠م

٣٧. علم النص ونظرية الترجمة – د. يوسف نور الدين – دار الثقافة للنشر والتوزيع – ط ١ – مكة المكرمة ١٤١٠هـ

٣٨. علم النص [أسسه المعرفية وتجلياته النقدية] – د. جميل عبد المجيد حسين – مجلة عالم الفكر [في الأدب والنقد والبلاغة] – مج ٣٢ – ع٢ – أكتوبر، وديسمبر ٢٠٠٣م

٣٩. عيار الشعر – محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي – تحقيق: محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – ط٣ – د.ت – الإسكندرية، مصر

٤٠. في المقاصد العامة للنحو العربي نظرًا وتطبيقًا – د. مصطفى أحمد عبد العليم – كتاب المؤتمر الثاني للعربية والدراسات النحوية [العربية وقرن من الدرس النحوي] – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٧، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٣هـ/ ١٨، ١٩ فبراير ٢٠٠٣م

٤١. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان – أوزولدزا ديكرو، وجان ماري شمايفر – ترجمة منذر عياشي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط٢ – المغرب ٢٠٠٧م

٤٢. قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد – حسن حنفي – مجلة فصول – مج٩ – ع ٣، ٤؛ - فبراير ١٩٩١م

٤٣. القصد ودوره في تفسير النص [دراسة نحوية دلالية نصية] – إعداد/ صلاح الدين شعبان مطاوع عبد العاطي – رسالة دكتوراه – إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة – كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٤. قضية البنيوية [دراسة ونماذج] – عبد السلام المسدي – دار الجنوب للنشر – د.ط – تونس ١٩٩٥م

٤٥. الكتاب - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د.ط/ د.ت – بيروت

٤٦. لسانيات النص - محمد خطابي – المركز الثقافي العربي – ط١ - ١٩٩١م

٤٧. اللغة العربية معناها ومبناها – د. تمام حسان – دار الثقافة – د.ط - القاهرة ١٩٩٤م

٤٨. اللغة وبناء الشعر – د. محمد حماسة عبد اللطيف – مكتبة الزهراء – ط ١ – القاهرة ١٩٩٢م

٤٩. مبادئ اللسانيات – د. أحمد قدور – دار الفكر المعاصر – ط ١ – بيروت، لبنان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٥٠. مدخل إلى علم لغة النص – د. إلهام أبو غزالة و على خليل حمد – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢ – القاهرة ١٩٩٩م

٥١. مدخل إلى علم اللغة النصي – فولفجانج هاينه، وديتر فيهفيجر – ترجمة د/ فالح بـن شـبيب العجمي – النشر العلمي والمطابع [جامعة الملك سعود] – د.ط- السعودية ١٤١٩هـ

٥٢. مدخل أولي إلى علـم الـنص، مـن نظريـة الأدب في القـرن العشــرين – فـان ديـك – ترجمـة د. محمد العمري – إفريقيا الشرق – الدار البيضاء – د.ط – ١٩٩٧م

٥٣. المستطرف في كلِّ فن مستظرف – شـهاب الـدين محمـد بـن أحمـد أبـو الفـتح الأبشـيهي – تحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – ط٢ – بيروت ١٩٨٦م

٥٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن – السيوطي – تحقيق محمد علي البجاوي – دار الفكر العربي – ط١ – القاهرة ١٩٧٣م

٥٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - جمال الدين أبو محمد عبـد الله بـن يوسـف بـن هشـام الأنصاري-تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر – ط٦ - بيروت ١٩٨٥م

٥٦. مفردات غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – بـدون دار نشـر أو مطبعة – د.ط/ د.ت – القاهرة

٥٧. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن – د. نصر أبو زيد – الهيئـة المصــرية العامـة للكتـاب – ط١ – القاهرة ١٩٩٠م

٥٨. المقاربة التداولية – فرانسوز أرمينكو – ترجمة سعيد علوش – مركز الانتماء القومي – د.ط/ د.ت

٥٩. من البنية الحملية إلى البنية المكونية – د/ أحمد المتوكِّل – دار الثقافة لنشر والتوزيع – ط١ – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٦٠. من النص إلى الفعل [أبحاث التأويل] – بول ريكور – ترجمة: محمد برادة وحسَّان بورقية – عين للدراسات والبحوث الإنسانية - ط ١ – ٢٠٠١م

٦١. الموافقات في أصول الفقه – الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - تحقيق : عبد الله دراز - دار المعرفة – د.ط/ د.ت – بيروت

٦٢. نبرات الخطاب الشعري – د. صلاح فضل – طبعة مكتبة الأسرة – القاهرة ٢٠٠٤م

٦٣. النحو والدلالة – د. محمد حماسة عبد اللطيف – دار غريب للطباعة والنشر – د.ط – القاهرة ٢٠٠٦م

٦٤. النص والخطاب [قراءة في علوم القرآن] – د. محمد عبد الباسط عيد – مكتبة الآداب – ط١ – القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

٦٥. النص والخطاب والإجراء - روبرت دي بوجراند – ترجمة: د. تمام حسَّان – عالم الكتب – ط٢ – القاهرة ٢٠٠٧م

٦٦. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية – د. مصطفى حميدة – الشركة العالمية للنشر [لونجمان] – د.ط - القاهرة ١٩٩٧م

٦٧. النكت في تفسير كتاب سيبويه – الأعلم الشنتمري [أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى] – تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان – معهد المخطوطات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – ط ١ – الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م